الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى

كلية الآداب و اللغات. قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الإستشراق واللغة والعربية

دراسة لاسهامات " أوجست فيشر فى العمل

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين: تحت إشراف الأستاذ:

جهيدة خشة بلال لعفيون

سماح طاوطاو

أعضاء لجنة المناقشة:

1- الأستاذ(ة): مسعودة شكور رئيسا.

2- الأستاذ(ة): بلال لعفيون مشرفا ومقررا.

3- الأستاذ(ة): أسماء ذنايب عضوا مناقشا.

السنة الجامعية:

2015-2014م

1436-1435هـ

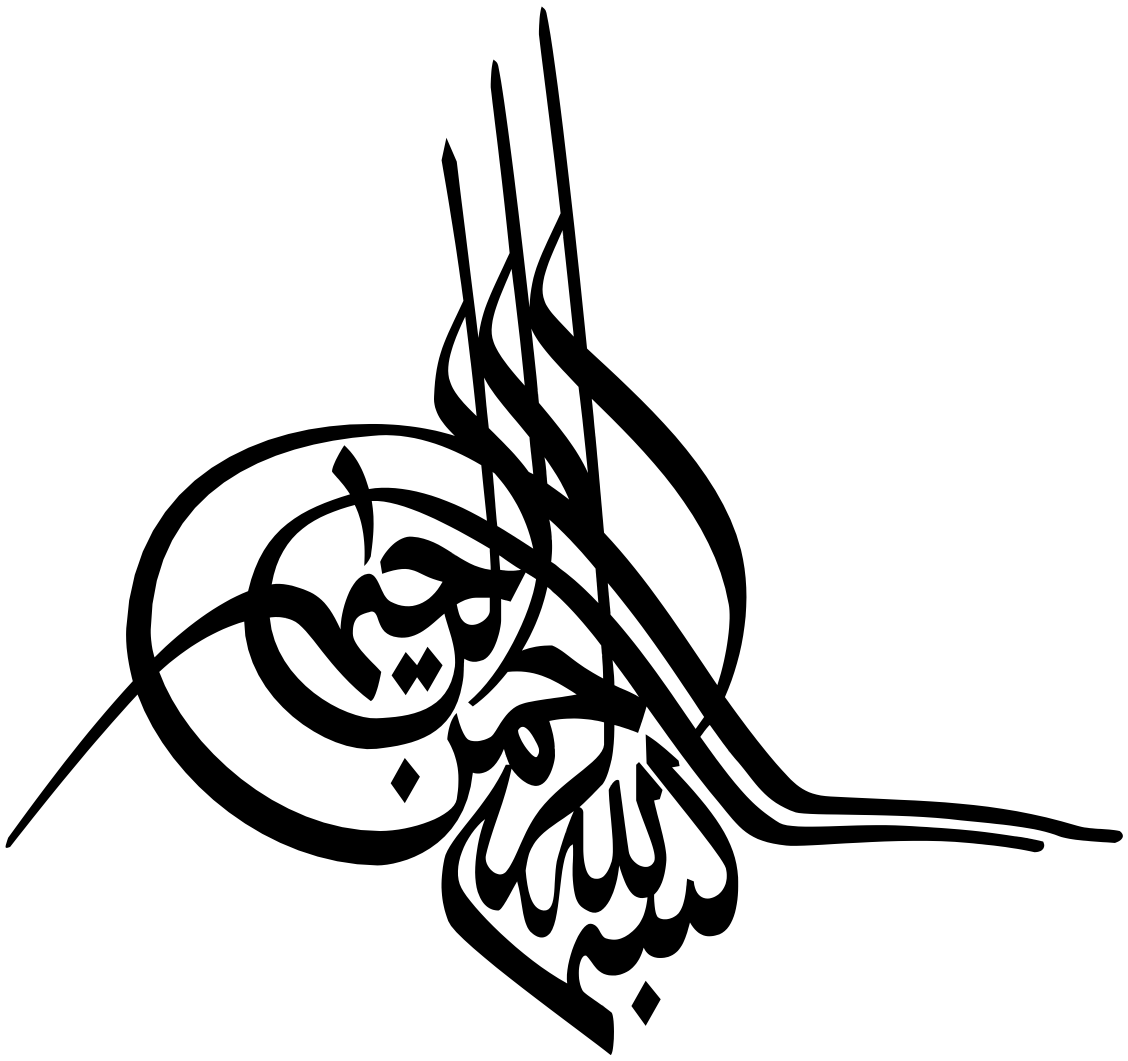
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال عزّ وجلّ "وإذ تأذّنَ ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم"

ربي لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، الشكر لله أولا وأخيرا.

إنه من دواعي سرورنا أن نتقدم بجزيل الشكر والتقدير أولا وقبل كل شيء إلى الله سبحانه وتعالى على إتمام هذا العمل المتواضع بعونه.

الأستاذ المشرف "لعفيون بلال" الذي وجهنا دائما وسددّ خطانا نحو الصواب.

كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي على توجيهاتهم القيمة لنا طيلة تكويننا الجامعي.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

إليكم جميعا جزيل الشكر والإمتنان.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق وخاتم الأنبياء وصحابته أمّا بعد:

نجد من الظواهر التي صاحبت ازدهار الفكر اللغوي والثقافة اللغوية، حركة أو ظاهرة الاستشراق التي جاءت نشأتها أعقاب الصراع العنيف بين الحضارتين المختلفتين العربية والغربية وذلك في ظل الحروب الصليبية، ومن هنا كانت نقطة التحول، حيث بدأ اعتناء الغرب أوّلا بترجمة القرآن الكريم وتفسيره ثمّ الكتابة حول السنّة النبوية والتاريخ الإسلامي وصولا إلى اللغة العربية والكتابة فيها باعتبارها المدخل الوحيد للوقوف على كل ذلك وفهم التراث العربي،وقد حظيت اللغة العربية باهتمام فئة معتبرة من المستشرقين أثمر عنه عديد من الدراسات اللغوية بمختلف مستوياتها النحوية، البلاغية، الصرفية والمعجمية، هذه الأخيرة التي شغلت حيّزا واسعا لدى العلماء والباحثين العرب والمستشرقين دراسة وتأليفا ممّا ساهم في طرح عديد من القضايا والأفكار، وهو ما انعكس بالإيجاب على تطور العمل المعجمي العربي.

وانطلاقا من هذا الطرح سعينا إلى أن نخطو في مجال تخصصنا نحو ميدان البحث العلمي بمعالجة قضية الاستشراق ومجالاته في بحث وسمناه بـ «الاستشراق واللغة العربية- دراسة لإسهامات أوجست فيشر في العمل المعجمي » وهو عنوان تتمحور فكرته حول ظاهرة الاستشراق وعلاقته باللغة العربية عموما، وبالدراسة المعجمية وأثر "أوجست فيشر" في الصناعة المعجمية الحديثة خصوصا، وذلك من خلال سعيه لوضع معجم تاريخي للغة العربية.

وكان هدفنا من هذا البحث هو الإجابة عن إشكال مفاده:

ما حقيقة الاستشراق؟ وما المساعي التي يرمي إليها؟ وما هي علاقته باللغة العربية وعلومها؟ وهل قدّم الاستشراق بدراسته المعجمية جديدا للغة العربية؟ أم اقتصر الأمر على إثارة نقاط والإشارة لنقائص دون مناقشتها؟

إنّ الإجابة عن هذا الإشكال يقودنا حتما إلى أسئلة جزئية كالآتي:

-ما مكانة اللغة العربية في دراسات المستشرقين؟ وما أهم القضايا والمسائل التي اهتموا بها؟ وما هي أهم المناهج التي درسوا من خلالها اللغة العربية؟ وكيف كانت طبيعة النتائج التي توصلوا إليها بناء على ذلك؟

وأين يكمن الجديد الذي أضافه المستشرق "أوجست فيشر" في مجال الدراسات اللغوية عموما والدراسات المعجمية العربية الحديثة خصوصا؟

- ولنا أن نتساءل عن فكرة المعجم اللغوي التاريخي هل جاءت مع "أوجست فيشر" تحديدا، أم كانت هناك محاولات سابقة له؟ وهل استمرت فكرة المعجم التاريخي بعده، أم أنّ صداها انتهى بوفاة "أوجست فيشر"؟

وفيما يخص اختيار الموضوع فيعود إلى سببين رئيسين: أولهما موضوعي يشترك فيه جميع الطلبة بحكم إنجاز مذكرة التخرج، والثاني ذاتي ويتمثل في رغبة التوسع في هذا الموضوع والكشف عن تفاصيله والجوانب المتعلقة به.

وسعيا منّا للإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة اشتملت على مقدمة وفصلين مع خاتمة، وجاء الفصل الأول بعنوان "الاستشراق والدراسات اللغوية العربية "، أدرجنا تحته مبحثين، كان المبحث الأول للحديث عن طبيعة الاستشراق من حيث المفهوم والنشأة، الدوافع والأهداف، وأهم المدارس والوسائل التي اعتمدها المستشرقون لتحقيق أهدافهم، أمّا المبحث الثاني فقد خصص للحديث عن علاقة الاستشراق باللغة العربية، والذي تضمن ثلاثة نقاط أساسية: الأولى كانت حول دراسة اللغة العربية عند العرب، الموالي والمستشرقين، أمّا الثانية فكانت حول مناهج المستشرقين والثالثة شملت آثارهم في دراسة اللغة العربية.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان«"أوجست فيشر" والعمل المعجمي الحديث»، والذي تضمن ثلاث مباحث، الأول منه كان حول المعجمية العربية الحديثة عارضين في ذلك فكرة المعجم العربي التاريخي من مفهوم، دوافع وأهداف ومراحل إنجازه، في حين تناولنا في المبحث الثاني إسهامات "أوجست فيشر " في الصناعة المعجمية الحديثة حيث يتضمن نبذة عن "أوجست فيشر" وعن معجمه، وكذا أسس المعجم عنده وآراءه في صناعة المعجم التاريخي، وجاء المبحث الثالث تحت عنوان المعجم اللغوي التاريخي بعد "أوجست فيشر " عرضنا فيه محاولات بعض الباحثين الأفراد، والمؤسسات العلمية والمجامع اللغوية في سيل إنجاز معجم لغوي تاريخي.

وقد أنهينا هذا البحث بخاتمة جاءت كحوصلة لأهم النتائج المستوحاة من دراستنا لهذا الموضوع.

ومن أجل إعداد بحثنا اتبعنا إجراءات كل من المنهج الوصفي والتاريخي المناسبين لمثل هذه الدراسة، فاعتمد المنهج الوصفي لوصف ظاهرة الاستشراق قصد معرفته وتبيان حقيقته وكان ذلك في الفصل الأوّل، أمّا المنهج التاريخي فكان من أجل تتبّع سيرورة المعجم العربي قبل "أوجست فيشر" وبعده وذلك في الفصل الثاني والعنصر الذي يتناول نشأة الدراسات الاستشراقية من الفصل الأوّل.

أمّا فيما يخص الدراسات السابقة نجد بعض الدراسات المقاربة لموضوع بحثنا والمتمثلة في مذكرة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بعنوان «البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان- العربية أنموذجا » للباحث عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني والذي خصص جزء منها لمعالجة قضية الاستشراق والمعجم التاريخي "لأوجست فيشر" من حيث الأسس التي اعتمدها والمناهج التي تبناها المستشرقون في دراسة اللغة العربية.

وحتى نغذي بحثنا هذا بالمادّة اللغوية اللازمة، استندنا على مجموعة من المصادر والمراجع منها: كتاب "نحو معجم تاريخي للغة العربية" لبسّام بركة وآخرون، والذي يعالج قضية المعجم التاريخي "لأوجست فيشر" من حيث المنهج والأسس وكذلك يصنع تصوّر نظري لمراحل المعجم التاريخي المتوقع إنجازه، وكتاب "الاستشراق- تعريفه،مدارسه، آثاره"، والذي تطرّق إلى تعريف الاستشراق ومدارسه.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا الذي سعينا للكشف عن تفاصيله وحيثياته والفضل في ذلك يعود إلى الله عزّ وجلّ، كما نشكر الأستاذ المشرف «بلال لعفيون» على إرشاداته وتوجيهاته القيّمة.

والله ولي التوفيق.

المبحث الأوّل: مدخل إلى الإستشراق

تمهيد:

عرف الإستشراق على أنه تيار فكري تمثّل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، وقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، فالإستشراق وإن بدأ بدراسة اللغة العربية والكشف عن كنوزها، إلاّ أنه انتهى إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته.

وهنا نسلط الضوء على أهم القضايا التي نعالجها: الإستشراق– دراسة اللغة العربية، المناهج اللغوية التي اتبعها المستشرقون في دراستهم للغة العربية، الآثار المترتبة على ذلك.

أوّلا– تعريف الإستشراق : يتباين مفهوم الإستشراق من باحث لآخر وذلك لتنوع موضوعاته وعدم تجانسها، أو لاختلاف توّجهات باحثيه ومؤرخيه أو لغيرهما من الأسباب، وفي ظل هذا التنوع والاختلاف نجد من الباحثين من يضبطون تعريفه كالآتي:

1– لغة:

الإستشراق من الجذر (ش، ر، ق) و تتفرع عن هدا الجدر ألفاظ عدّة بمعان متقاربة، والإستشراق هنا كلمة مشتقة من الشرق، ويطلق أهل اللغة لفظة الشرق على الشمس: يقال طلع الشرق... والتشريق: الأخذ من ناحية الشرق.[1]

ومن هذا يتفق المعنى اللغوي مع مصطلح الإستشراق الذي هو طلب الشرق.

كلمة إستشراق إذا بحثنا عنها في المعاجم اللغوية القديمة لا نجد لها ذكرا، وهذا يعني أنّ الكلمة ليست عربية أصيلة بل هي مولدة عصرية، وهو ما أكدّته بعض المصادر اللغوية الحديثة حيث نجد: إستشرق أي طلب علوم الشرق ولغاتهم ويقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة، وكما هي موّلدة عصرية في اللغة العربية فهي كذلك في اللغة الأجنبية، فقد ظهرت كلمة مستشرق" Orientalist " في إنجلترا سنة 1779م، وكلمة

(1) خالد إبراهيم المحجوبي: الإستشراق والإسلام– مطارحات نقدية للطروح الإستشراقية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2008، ص 15.

" Orientalist" في فرنسا سنة 1799م، ثمّ أدرجت كلمة الإستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية **Dice facademie francese**، عام 1938م.(1)

أي أنّ كلمة إستشراق لم تظهر ولم يتم تداولها إلاّ حديثا في كل من اللغة العربية واللغات الأجنبية يؤكد ذلك غيابها عن المعاجم القديمة.

وقد جاء في بعض المصادر اللغوية الحديثة: إستشرق أي: طلب الشرق وهو ما يوحي إليه حرفا السين والتاء، التي هي حرف تدل بجموعها على الطلب أي طلب علوم الشرق ولغاتهم.(2)

انطلاقا من هذه التعاريف اللغوية المقدمة يظهر لنا أنّ الإستشراق كلمة مشتقة من الشرق، والسين هنا للطلب أي طلب الشرق ولها معان كلها في ذلك واحد وهو الاهتمام أو الدراسة أو التوجيه أو البحث الذي يقوم به الباحث الغربي في التراث الشرقي والعربي منه على وجه الخصوص وهو الذي ينصب عليه موضع بحثنا.

ولو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثمّ أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه.

2- اصطلاحا:

الإستشراق علم يدرس لغات الشرق وتراثه وحضارته، ومجتمعاته، وماضيه وحاضره، فهو دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه، واتجاهاته النفسية وأحواله الاجتماعية ، وبخاصّة حضارة الإسلام وأحوال المسلمين في مختلف العصور.(3)

ومن هنا يتبين أن الإستشراق علم يهتم بدراسة لغة الشرق وما تعلق بها.

(1) عبد المنعم فؤاد: من إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ،مكتبة العبيكان، ط1، 2001، ص 16.

(2) محمد أشرف علي الميليباري: أهداف الترجمات الإستشراقية لمعاني القرآن الكريم ودوافعها،د.ط،د.ت، ص 6.

(3) أحمد عبد الرحيم السرايح: الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية،ط1996،1،ص 13،14.

ويرى الباحث "محمد حمدي زقزوق" أنّ المعنى الخاص لمفهوم الإستشراق هو الذي يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته، آدابه وتاريخه، وعقائده وتشريعاته، وحضاراته بوجه عام وهذا المعنى هو الذي يرصرف إليه في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ إستشراق أو مستشرق.

والمستشرق كما يرى الباحث «زقزوق»، كل عربي يشتغل على دراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه، وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه.

وعرّف قاموس أكسفورد الجديد المستشرق بأنّه « من تبحرّ في لغات الشرق وآدابه».[1]

يعرّف "إدوارد سعيد" الإستشراق بأنّه: « مدخل الغرب إلى الشرق، ومعرفة لأحوال الشرقيين والجنس الذي ينتمون إليه، وشخصيتهم وثقافتهم وتاريخهم وتقاليدهم ومجتمعهم وإمكانياتهم.»[2]

وانطلاقا من هـ ذه التعاريف الاصطلاحية المقدمة يتبين لنا أن الإستشراق هو دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته وأحوالها الاجتماعية وخاصّة حضارة الإسلام وأحوال الأمّة الإسلامية في مختلف العصور، ودراسة تراثهم وحضارتهم وماضيهم وحاضرهم.

العلاقة وثيقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي ، فقد أطلق على الدراسة التي تعنى بالعالم الشرقي مصطلح الإستشراق، وأطلق على الغربيين الذين يقومون بتلك الدراسات مصطلح المستشرقين.

ثانيا:نشأة الدراسات الاستشراقية

هناك اجتهادات متنوعة لتحديد بداية النشاط الإستشراقي في الغرب، فمنهم من يرجع تاريخ بدايته إلى القرن العاشر ميلادي حيث ذهب"**نجيب العقيقي**"[3] (1916-1982) للقول أنّه ظهر عند الرهبان الذين قصدوا الأندلس إبان مجدها لطلب العلم، واشتهر من هؤلاء الراهب الفرنسي" **جربرت** " الذي انتخب بابا

(2) محمد فاروق النبهان: الإستشراق- تعريفه، مدارسه، آثاره، ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة السيسكو، المغرب،د.ط، 2012، ص 11.

(1) صلاح الدين حسين خضير: الإستشراق وشبهة الدافع الإقتصادي للأراضي المفتوحة – نقد وتحليل، مج3، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، 2011، ص 398.

(2) هو أديب وكاتب نصراني، من أهل لبنان، ولد في بلدة كفر دبيان وتعلمّ في المدرسة الوطنية وعمل في الصحافة، رحل بعدها إلى مصر واشتغل بالتدريس، كما عمل بالثقافية في جامعة الدول العربية، توفي سنة 1981م، وقيل سنة 1982، من آثاره المستشرقون في ثلاث مجلدات.

للكنيسة روما عام 999م [1] ومنهم من جعل بداية الدراسات الإستشر اقية ترجع إلى القرن الثاني عشر ميلادي حيث يقول المستشرق الألماني المعاصر"**رودي بارت Rudi part**"[2] ففي عام 1143م تمّت ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغة اللاتينية بتوجيه الراهب"**بطرس المحترم**"، وفي القرن الثاني عشر الميلادي أيضا نشأ أوّل قاموس لاتيني عربي، وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين بذل" **ريموند كول** " جهود كبيرة لتدريس اللّغة العربية.[3]

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا الثقافة المكتوبة باللّسان العربي ومؤلفات أشهر علمائهم ثمّ أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة" **بادوي** " العربية، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، واستمرّت الجامعات الغربية تعتمد على الكتب العربية وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون

بعد أن ترجم القران الكريم إلى اللاتينية وبعد أن أنشا أوّل قاموس عربي لاتيني نشر الرهبان المؤلفات المترجمة ودرسوها واعتمدوها كمراجع أصلية لدراستهم.

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللّغة العربية، وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر الميلادي، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب يغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، فيشترونها أو يسرقونها من المكتبات العامّة وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنقل إلى مكتبات أوربا وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلدا، ومازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.[4]

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي عقد أوّل مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م ثمّ توالت مؤتمرات المستشرقين بالانعقاد.[5]

(1) فاروق عمر فوزي: الإستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998، ص 30.

(2) رودي بارت مستشرق ألماني، ترجم القرآن إلى الألمانية.

(3) محمد عبد الله الشرقاوي: الإستشراق دراسة تحليلية تقويمية، كلية دار العلوم، القاهرة، 1992،د.ط، ص 25.

(1) عبد الرحمان حسن حبكة الميداني، أجنحة الفكر الثلاثة وخوافيها – التبشير، الإستشراق، الاستعمار، دار القلم، دمشق، ط8، 2000، ص 25-27.

(5) فاروق عمر فوزي، الإستشراق والتاريخ الإسلامي، (مرجع سابق)، ص 31.

أمّا نشأة الدراسات الإستشراقية عند علماء العرب المعاصرين فلقد بدأت في بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي كما يرى الباحث«محمد البهي» على الرغم من اعترافه بإمكانية وجود محاولات فردية قبل ذلك.

كما يوافقه في ذلك الباحث " **إبراهيم عبد المجيد اللبان** "[1] حيث يرى بأنّ حركة الإستشراق بدأت في القرن العاشر الميلادي حيث ظهر الاهتمام بالعلوم العربية في هذا القرن بالذات ثمّ ازدهرت حركته في القرن الثاني عشر الميلادي حيث انتشرت تلك المراكز العلمية وبدأ الأوروبيون يتوافدون إليها ليتعلموا فيها.

وكذلك يرجع الدارس" **أحمد الإسكندراني** " بداية الإستشراق إلى القرن العاشر الميلادي حينما أدرك الغرب تلك المعجزة الحضارية التي شاهدها العرب فاندفعوا إليها ليتعلموا ويتسلحوا بها ويستفيدوا منها، فأخ ذوا يدرسون لغتها وآدابها ويترجمون كتبه وينقلون علومها إلى بلادهم.

على خلاف مجموعة الباحثين التي ذكرناها نجد الباحث " **أحمد الشرباصي** " حيث يرى أنّ الإستشراق بدأ تقريبا في القرن الثالث عشر الميلادي حيث انبثق من الحروب الصليبية التي لم تكن سوى إحدى نقط التحويل في تاريخ الشرق.

يعيد الباحث "**جورجي زيدان**" بداية الإستشراق إلى القرن العاشر الميلادي إذ أراد الإفرنج الإطلاع على ما في اللغة العربية من العلوم الطبيعية والفلسفية والطبية ونقلوا كثيرا منها إلى اللاتينية ومن أوائل المترجمين أو الناقلين هو **البابا سلفستر الثاني** الذي عاش في القرن العاشر الميلادي وتلاه **هرمان** 1054م، وجاء بعده قسطنطين الإفريقي وغيرهم.

وما كانت الصليبية إلاّ نتيجة واحدة لمقدمة واحدة هي الإستشراق.

وهناك رأي مخالف لما ر آه مجموعة الباحثين السابقين فنجد الباحث " **إبراهيم مذكور** " الذي يرى أنّ الإستشراق بالمعنى العلمي الكامل لم يبدأ إلاّ في منتصف القرن التاسع عشر إذ أننا لا نستطيع أن نتحدّث عن دراسات إسلامية بالمعنى الكامل سابقة على النصف الأخير من القرن الماضي إلاّ في الغرب أو في الشرق ذلك لأنّ الغربيين من اتصالهم بالشرق شغلوا أوّلا بنواحيه السياسية والإقتصادية ولم يتوجهّوا إلاّ أخيرا إلى نواحيه الثقافية وما نراه لدى بعض مؤرخيهم في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر من تعليق على العرب

(3) عبد المجيد اللبان: ولد عام 1871م، التحق بالتعليم بالأزهر الشريف والذي تخرّج في كلية أصول الدين حيث نال شهادة العالمية من الأزهر الشريف وعمل عميدا لكلية أصول الدين حتى وفاته عام 1942م.

والثقافة العربية، إنّما هو مستمد في الغالب من المصادر اللاتينية، وأمّا الشرقيون أنفسهم فلم يكن بوسعهم وقد كانوا مغلوبين على أمرهم أن يحيوا معالمهم ولا أن ينهضوا بتراثهم.[1]

وانطلاقا من هذا تبين لنا السبب الرئيسي لنشأة الدراسات الإستشراقية كان راجع إلى الحروب الصليبية ومحاولة الغرب تشويه الإسلام وزرع الأفكار الخبيثة في نفوس المسلمين قصد التشكيك في عقيدتهم، ومن ثمّ رأوا بأنّ السبيل الوحيد لذلك هو معرفة اللغة العربية وبذلك كانت الدراسات الأولى في القرن الثاني عشر الميلادي، حيث ترجموا القرآن الكريم وأنشئوا أوّل قاموس عربي لاتيني وغيره، ...وتتابع الإستشراق بعد ذلك خلال القرون التي تلت حيث أصبح الإستشراق ينتج آلاف الكتب سنويا، ويعقد الكثير من المؤتمرات، وبعدها ازداد النشاط الإستشراقي بعد تأسيس كراسي للغة العربية في عديد من الجامعات الأوروبية مثل: كرسي كمبريدج عام 1633م، وكرسي أكسفورد عام 1636م.

ثالثا: دوافع وأهداف الإستشراق

1- دوافع الإستشراق: أحيانا ما تتداخل الدوافع مع الأهداف وكثيرا ما تتعدد بتعدد هذه الأخيرة، ولعّل أبرز الدوافع الواضحة للإستشراق نجد:

ا- الدوافع الدينية:

يعد الدافع الديني من أهم الأسباب الكامنة وراء نشأة الإستشراق، فمن المعروف أنّ البناء الإستشراقي قد قام على أكتاف الرهبان الخاضعين لسلطة الكنيسة الكاثوليكية في الغرب، وكان الفاتيكان يرعاهم ليكون الإستشراق أكثر تنظيما ، انتشارا واستمرارا، فقامت حملتهم على الإسلام طعنا وتشويها وتحريفا، فزعموا أنّ الإسلام دين أرضي منقول من أديان أخرى وليس وحيا سماويا، وأنّ المسلمين قوم همج ولصوص يحثهم دينهم على الملّذات الجسدية ويبعدهم عن السمو الروحي.[2]

(1) يحي مراد، من قضايا الإستشراق – بحوث ودراسات،د.ط،د.ت ،ص 56-59.

(2) مجدي محمد فتح الباب: موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، دار الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001، ص 18،19.

يعتبر الإستشراق في بداية الأمر عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام، ثمّ تطور فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم بزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية، وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى.(1)

وبالتالي لم يجد المستشرقون سوى تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين على نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، ومع يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثمّ الحروب الصليبية، ثمّ الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوّة الإسلام وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية.(2)

يتبين لنا انه باعتبار أن بدايات الإستشراق بدأت عند الرهبان الذين قصدوا الأندلس لطلب العلم فمؤكد أن دافعهم كان دينيا بالدرجة الأولى وذلك من أجل تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين في عقيدتهم وتشديد الهجوم عليهم من اجل التوسع في الدراسات الإسلامية.

ب- الدوافع السياسية الإستعمارية

لما انتهت الحروب الصليبية بالفشل اتجه الغرب إلى « دراسة بلاد العرب في كل شؤونها عقيدة وأخلاقا وتاريخا قصد التعرف على مواطن القوة والضعف فيها» (3)

فكان من دوافع دراستهم الرغبة في « إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبثّ الوهن والارتباك في تفكيرهم، وقد سعوا لذلك بكل ما لديهم، فكانت لهم محاولات تشكيك ووسواس كثيرة، تسللوا بها إلى نفوس المسلمين».(4)

فقد حرصّ ساسة الغرب عند التعامل مع الدول الإسلامية على الرجوع إلى المستشرقين للإستعانة بما لديهم من ثقافة إسلامية، وفتحوا المجال أمامهم للعمل في سلك الاستخبارات والسلك السياسي عامّة، لدراسة واستصدار القرارات السياسية فكانوا جهازا استشاريا وكان يطلق عليهم: " **مركز المعلومات** " وأخذ بعض

(1) طارق سري: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النافذة، ط1، 2006، ص 38.
(2) مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، ، د.ط، ،د.ت، ص 21.
(3) مجدي محمد فتح الباب: موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، (مرجع سابق)، ص 19،20.
(4) فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، دار الإيمان، لبنان، ط1، 1993، ص 57.

المستشرقين مكانهم في سفارات وقنصليات الغرب مستشارين علميين، كذلك في وزارات الخارجية والدفاع ليتصلوا برجال الفكر والصحافة في بلاد العالم الإسلامي للتعرف على اتجاهاتهم ومحاولة استقطابهم والتأثير عليهم.

ما يمكن ملاحظته من الدافع السياسي الاستعماري انه مع فشل الغرب في تشويه الإسلام اتجه إلى دراسة بلاد العرب من جميع نواحيها قصد إضعاف تفكيرهم وبث الارتباك فيهم ،فلقد حرصوا على الاستعانة بالمستشرقين بما لديهم من ثقافة إسلامية من اجل التعرف على اتجاههم ومحاولة التأثير عليهم .

ج- الدوافع الإقتصادية

من الدوافع المهمة التي حرضّت كثيرا من الغربيين على الدراسات الإستشراقية رغبتهم في غزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا ، حيث وجدوا الحاجة ماسّة للسفر إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، ودراسة لغتها، وذلك ليحسنوا التعامل مع سكان تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك.[1]

وضمن هذا الدافع وجهة للمؤسسات الإقتصادية الغربية، من يهتمون بالدراسات الشرقية، ليكونوا وسطائهم ورسلهم ومستشاريهم، ومترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الإقتصادية، حيث أبدت استعدادها لاستخدام من يعمل لهم في هذا المجال، فاتجه فريق من الغربيين لهم في هذه المؤسسات الإقصادية وهكذا صارت الدراسات الإستشراقية وسيلة من وسائل كسب المال لكثير من المستشرقين.[2]

وقد يبدو الدافع الاقتصادي بعيدا عن الدافع الاستعماري، إلاّ أنهما حقيقة يمثلان وجهان لعملة واحدة، يقول«**ايرون دوفيلان فوست** » في المؤتمر الرابع عشر في الجزائر سنة 1905م عن **رينان**:« بأنّه يرى أنّ غزو فرنسا للجزائر سيكون مجدا لفرنسا لما للجزائر من ثروات معدنية وأثرية »[3]

(1) المرجع نفسه، ص 55.

(2) عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها،(مرجع سابق)،ص 130.

(3) طارق سرى: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، (مرجع سابق)، ص 46.

كانت الدراسات الشرقية للغربيين هي الدافع لديهم وذلك من خلال اهتمامهم بمن يكون وسيطا لهم ورسولا ومستشارا ومترجما لهم في مهماتهم إلى المؤسسات الاقتصادية حتى يسهل دلك عليهم ويكون وسيلتهم من اجل كسب المال .

د- الدوافع العلمية والثقافية:

بغض النظر عن الدوافع السابقة وما فيها من مراعاة لمصالح الغرب على حساب المسلمين ومقدساتهم، إلاّ أننا نجد بعض المستشرقين قد أقبلوا على الدراسات الإسلامية بدافع ذاتي ورغبة صادقة في حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، تطورت فيما بعد إلى احتراف ومحاولة التعرف على الحقيقة، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي الرصين من أبحاث الجمهور والغالب من المستشرقين.[1]

كما اهتمّ المستشرقون بدراسة التراث الشرقي وثقافته، فكل مستشرق يدرس ما يميل إليه من الجوانب الثقافية، وأثناء عقد مؤتمراتهم يتم عرض ما تمّ التوصل إليه خلال البحث والدراسة.

ونجد قلّة من المستشرقين الذين قرأوا الكتب الدينية وفحوصها وأدركوا بذلك«أنّ الدين الإسلامي هو دين سماوي، وهو خاتم الأديان وأنّ رسوله هو خاتم الأنبياء والمرسلين، يدعوا إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله، وهو دعوة الحق والخير والصلاح.»[2]

والواقع أنّ الحقب المتتابعة التي مرّ بها الإستشراق عبر مسيرته الطويلة لم تكن تخلوا ومن باحثين أوروبيين اتسموا بالحيرة الموضوعية، فهذا " **هادريان ريلاند**" يصحح في كتابه " **الديانة المحمدية** " العديد من الآراء الأوروبية حول الإسلام كما دعا إلى القراءة عن الإسلام من مصادره وينابيعه الأصلية الموجودة في الكتب العربية.[3]

ونخص بالذكر المستشرق"**عبد الكريم جرمانوس**" وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند، كان يتمنى أن يعيش مائة عام، لأنّ اللغة في رأيه تحتاج إلى مائة عام لفهمها، كان عضوا في المجتمع اللغوي في القاهرة، أحبّ الإسلام واللغة العربية وخدمتها، ألّف أكثر من مائة وخمسين كتابا عن الإسلام.

(1) صلاح الدين حسين خيضر: الإستشراق وشبهة الدافع الإقتصادي للأراضي المحتملة،(مرجع سابق)، ص 400.

(2) فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، ،(مرجع سابق)، ص 71.

(3) فاروق عمر فوزي: الإستشراق والتاريخ الإسلامي، ،(مرجع سابق)، ص 37.

نستخلص من الدافع العلمي الثقافي بأنه يوجد من المستشرقين من اقبلوا على دراسة الشرق والتعرف على حضاراته وأدبائه وثقافته ولغاته ،وهؤلاء كانوا اقل من غيرهم خطا في فهم الإسلام وتراثه لأنهم كانوا بحسن نية فجاءت أبحاثهم اقرب إلى الحق والى المنهج العلمي السليم من أبحاث الفئة الغالبة للمستشرقين حتى إن هناك من اهتدى إلى الإسلام وامن برسالته.

إنّ حركة كحركة الإستشراق تنشأ بتلك الدوافع والمقاصد، وتضم في طبيعتها الصليبي والمتعصب، واليهودي الحاقد، والاستعمار الجشع بالإضافة إلى من يدور في فلك هؤلاء من أعداء الإسلام، وطلاب الدنيا لتمثّل تهديدا صارخا، وتحديا كبيرا ضد المسلمين لا يجوز التغافل عنه، ولا الاستهانة بخطره وعظيم ضرره.

2- أهداف الإستشراق:

إذا كان للإستشراق دوافع فلزاما أن يكون له أهداف سعى المستشرقون لتحقيقها دينيا وسياسيا واستعماريا واقتصاديا وعلميا وثقافيا.

ا- الهدف الديني:

لعّل الهدف الديني الذي أراد الإستشراق تحقيقه كان دافعه الأساسي معرفة الإسلام لمحاربتهم وتشويهه انطلاقا من:

- أفكارهم كون القرآن الكريم كتابا منزلا على الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله عزّ وجلّ، وذلك لما ورد في القرآن الكريم من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية، ممّا يستحيل صدوره عن أميّ مثل محمد صلى الله عليه وسلّم، فهم يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول.[1]
- التشكيك في صحّة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم والزعم بأنّ الحديث هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، والهدف من وراء ذلك هو محاربة السنّة بهدف إسقاطها، حتى يفقد الإسلام أكبر عناصر قوّته، ودليل ذلك أنّ" **مارجيليوت** " يقول في فصل له منشور في موسوعة" **تاريخ العالم** ":«إنّ محمد صلى الله عليه وسلم رجل مجهول النسب لأنّه محمد بن عبد الله وكان العرب يطلقون على من لا يعرفون نسبه اسم عبد الله»[2]

(1) عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني: أجنحة الفكر الثلاث وخوافيها،(مرجع سابق)، ص 133-139.

(2) محمد بن ابراهم الحمد: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب،دار ابن خزيمة للنشر و التوزيع، ط1، 2006، ص 173،174.

– التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي الذاتي، ذلك للتشريع العظيم الذي لا يجتمع مثلا له بجميع الأمم في جميع العصور.

– تشويه سمعة الإسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية.

– التشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.[1]

– استدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة، وما فيها من مغريات للنفوس، ومرضيات للأهواء، وآمرات للشهوات، وباهرات للنظر.

انطلاقا من هذا يتبين لنا أن هدف المستشرقين الديني هو معرفة الإسلام وتشويهه وتشكيك المسلمين في عقيدتهم ،وذلك من خلال القران الكريم واستحالة نزوله على الرسول –صلى الله عليه وسلم– باعتباره رجل أمي ،والتشكيك في رسالته بهدف إسقاط السنة وكذلك التشكيك في نسبه .

ب– الهدف السياسي الإستعماري

لقد إستفاد الإستعمار كثيرا من التراث الإستشراقي، كما عمل على تعزيز موقف الإستشراق، « فقد استطاع الاستعمار أن يجنّد طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في البلدان المستعمرة وهكذا نشأت مرابطة قوية بين الإستشراق والاستعمار»[2]

والهدف من ذلك أن يفقد المسلمون ثقتهم بأنفسهم، ويرتموا في أحضان الغرب، ويستجدّوا منه العقائد والمبادئ والمقاييس الأخلاقية، والحلول لمشاكلهم الحياتية، والتقاليد والعادات، وأنواع السلوك، ليتم للغرب بعد ذلك إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعا كاملا بحيث لا تقوم للمسلمين بعده قائمة، وبعد ذلك الطمع بالتسلط على بلاد المسلمين عامّة.[3]

ثمّ يأتي العمل على إعاقة قوّة الاندفاع التحررية التي تجمع بين الإخوة المسلمين وتتمثّل في:«العقيدة الإسلامية والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة، ومن ثمّة السيطرة على الشعوب الإسلامية، وبلدان العالم الإسلامي عن طريق استعمارها واستغلال أراضيها.»

وأكثر ما يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال معظم الدول العربية والإسلامية «أنّه في كل سفارة من سفارات الدول الغربية نجد سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر

(1) مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، (مرجع سابق)، ص 21.

(2) فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، (مرجع سابق)، ص 57.

(3) مجدي محمد فتح الباب: موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، (مرجع سابق)، ص 21.

والصحافة والسياسة قصد التعرف على أفكارهم، وبثّ فيهم الاتجاهات السياسية ما تريده دولته للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبين الدول العربية والدول الإسلامية.»[1]

وذلك للعمل على إثارة الفتن، وإحياء العصبيات المذهبية، والنزاعات الطائفية والعقدية بين الفرق التي وجدت عبر عصور التاريخ الإسلامي مثلا: « النزاعات التي قامت بين أهل السنة والمعتزلة في فتنة خلق القرآن الكريم، وقضايا العذاب وأقوال المتكلمين، والأقوال الواردة في البدع، وأمور الخلافة بعد مرور قرون طويلة على هذه الخلافات والتي تكاد تنسى بين المسلمين.»[2]

وخير دليل على هذا ما حدث ولا يزال يحدث في بعض دول الوطن العربي: فلسطين، سوريا، العراق، ليبيا، تونس، مصر، اليمن، من نزاعات وصراعات طائفية راجع بالدرجة الأولى إلى الضرب.

خلاصة القول في الهدف السياسي الاستعماري أنّ هدف المستشرقين كان استعمار العرب من اجل خدمة أغراضهم وإخضاعهم لحضارته وثقافته بعدها يأتي التسلط عليهم وإعاقة قوتهم المتمثلة في الإسلام والمثل العليا والتاريخ ...الخ ،وكذلك عملوا على استغلال أراضيهم واستعمارها وإثارة الفتن بينهم من اجل التفرقة .

ج- الهدف الإقتصادي:

عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية، كانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغ ذية مصانعها، كما أصبحوا بحاجة إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعها، فكان لابدّ لهم أن يتعرفوا إلى البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون أسواق مفتوحة لمنتجاتهم.«فكان الشرق الإسلامي والدول الإفريقية والأسيوية هي هذه البلاد، فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الإجتماعية والثقافية واللغوية وغيرها»

ولهذا الهدف« أثر بالغ في تنشيط حركة الإستشراق، لأنّه يحقق في الأخير إنجازا كبيرا للسياسة الإقتصادية الغربية.»[3]

نتيجة هذا الهدف أن غاية المستشرقين كانت البحث عن المواد الأولية الخام والأسواق التجارية لتصريف البضائع فكان لهذا انجاز كبير وتحقيق ربح وفير للسياسة الاقتصادية الغربية على حساب الشرق الإسلامي والدول الإفريقية والآسيوية .

(1) مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، (مرجع سابق)، ص 24،23.

(2) عدنان محمد عبد العزيز: صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي، ج1، دار شيليا للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1998م، ص 195.

(3) صلاح الدين حسين خضير: الإستشراق وشبهة الدافع الإقتصادي للأراضي المحتلة، (مرجع سابق)، ص 401.

د- الهدف العلمي الثقافي:

لما رأى زعماء أوروبا أنّه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوج هإلى مواطن العلم فتدرس لغاته وآدابه وحضاراته، وبالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية نعرف حقيقة أهمية هذا الهدف من أهداف الإستشراق، فالغربيين لم يتركوا مجالا كتب فيه العلماء المسلمين إلاّ ودرسوه وترجموا عنه، وأخذوا منه، حيث ساهموا بذلك في تطور العلم وزادت معرفتهم بالعلم الشرقي.«حتى ظهر من الأوروبيين علماء تشبعوا بعلوم العرب وطرق بحثهم، نخصّ بالذكر منهم: العالم الإنجليزي **روجربيكون**»[1]

وإلى ضخامة النشاط الإستشراقي أشار" **إدوارد سعيد** " في كتابه" **الإستشراق** " « وذلك فيما نشر عن الشرق بين 1860 و 1960م، أي حوالي قرن من الزمن والذي وصل إلى ما يقارب الستين ألف مطبوعة»[2]

أمّا ثقافيا فكان الهدف من ذلك أمرين: أولهما هيمنة الثقافة المسيحية عن طريق العولمة الثقافية، حاول من خلالها المستشرقون خلق ثقافة موّحدة ولما كان ذلك يتطلب جهدا شاقّا وصراعات بين تلك الثقافات، استندوا إلى القوة العسكرية والإقتصادية لبلادهم والإمكانيات الإعلامية التي لا تملكها الكثير من الدول الشرقية، أمّا الأمر الثاني فيشمل في إبدال الحروف الشرقية بالحروف اللاتينية، حيث حاول المستشرقون بكل الطرق لتحقيق ذلك، حتى يتيسر عليها البحث، هذا من جهة وحتى تنسلخ الأمم الشرقية من أصالتها وتراثها من جهة أخرى، لأنها تعتمد أوّلا وقبل كل شيء على اللغة التي تحوي ما في تلك الأمم.[3]

يتبين من خلال هدا الهدف انه كان لابد للغرب من دراسة لغات وآداب وحضارات العرب وذلك بترجمة الكتب والأخذ منها من اجل تطوير معرفتهم بالعالم الشرقي وخلق ثقافة موحدة ولو بالقوة العسكرية والاقتصادية .

وما يمكن ملاحظته من كل هذا أنّ للدراسات الإستشراقية أهداف ظاهرة وأخرى خفية، فالأهداف الظاهرة تبدوا للإنسان أنّها الحق والصواب لما فيها من النزاهة وحسن النية في خدمة الإسلام وتراثه بما يقوم به المستشرقون من أعمال كالترجمة والفهرسة والكشف والجمع والنشر والتحقيق والتأليف والتصنيف وعقد

(1) أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي الهام، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 35.

(3) سعد البازغي، ميجان لرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي،المغرب،ط3، 2002، ص 35.

(3) طارق سري: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي،،(مرجع سابق)، ص 41.

المؤتمرات والندوات، وفي مقابل ذلك نجد أهداف غير ظاهرة يلجأ المستشرقون تحت ستارها إلى أغراضهم، وهي الأهداف الحقيقية للإستشراق.

رابعا: مدارس الإستشراق

اختلف الباحثون في تصنيف مدارس الإستشراق، فمنهم من راعى التصنيف الموضوعي وذكر المستشرقون بحسب تخصصاتهم العلمية، ومنهم من اختّص بالدراسات القرآنية، ومنهم من اختصّ بدراسة السُنّة والسيرة المتعلقة بالرسول – صلى الله عليه وسلم- ومنهم من اختصّ بتاريخ العرب والإسلام.

ومن أهم المدارس الإستشراقية ما يلي:

1- المدرسة الفرنسية:

تعد المدرسة الإستشراقية في فرنسا من أبرز المدارس الإستشراقية وأغناها فكرا وأخصبها إنتاجا وأكثرها وضوحا، ويعود سبب ذلك إلى العلاقات الوثيقة التي تربط فرنسا، بالعالم الإسلامي والعربي قديما وحديثا.

وكان تاريخ فرنسا السياسي المتواصل هو الذي جعلها من أوائل الدول الأوربية التي عنيت بالدراسات العربية والإسلامية للإستفادة منها وترجمة آثارها وإنشاء كراس علمية لتدريسها منذ القرن الثاني، وأوفدت طلابها لمدارس الأندلس لدراسة الفلسفة والحكمة والطب فيها.

ومنذ وقت طويل أنشئت كراس في المعاهد والجامعات الفرنسية لدراسة اللغات الشرقية، ومنها اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ويوجد في مكتبة باريس الوطنية أكثر من سبعة آلاف مخطوط عربي ونوادر من الآثار الإسلامية من نقود وأختام وخرائط.[1]

وصدرت في فرنسا مجلات إهتمّت بالتراث العربي والإسلامي والتعريف به، وإستطاع الأدب العربي أن يؤثر في الأدب الفرنسي، وإنتشرت بعض الكتب الأدبية العربية في فرنسا، كما تأثر بعض المفكرين الفرنسيين بما إطّلعوا عليه من تراث العرب وفلسفتهم أمثال: "**إبن رشد**"،"**إبن خلدون**".

ومن المستشرقين الفرنسيين الذين إهتموا بالحضارة العربية الإسلامية نجد:

"بوستل" (1505-1581م)، "البارون دي ساسي" (1758-1838م)، "كاترمير" (1782-1852م)"، " البارون دي سلان " (1801-1878م)، "شربونو" (1813-1832م).

(1) محمد فاروق البنهان: الإستشراق- تعريفه، مدارسه، آثاره، ، ص 22،23.

وهناك العشرات من المستشرقين الفرنسيين الذين كوّنوا المدرسة الفرنسية، و تتبعوا مسيرة الدراسات الإستشراقية، وأكدّوا قوّة المدرسة وقدرتها على البحث والمثابرة. من أبرزهم: شارل بيلا، مكسيم رودنسن، ليكونت، مكيل أندرو، جاك بيرك، لاوست، بلاشير، ماسينيون، وبروفنسال ... وغيرهم.

2- المدرسة الإنجليزية:

تتميّز المدرسة الإنجليزية بالعمق والدّقة وهي أكثر المدارس صلة بالشرق وبخاصّة بالشرقيين الأوسط والأقصى.

لقد كان دور الكنيسة واضح في تشجيع الدراسات الإستشراقية منذ القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر، وربما كانت حملة نابليون من العوامل المباشرة والمؤثرة في تشجيع الدراسات الإستشراقية، ولما أنشأت الكراسي العلمية للدراسات الشرقية تكوّنت نواة المدارس الإستشراقية، وكانت جا معة أكسفورد من أوائل الجامعات الإنجليزية التي أنشأت قسما للدراسات الشرقية، ثمّ للدراسات العربية والإسلامية عام 1636م.

وفي عام 1633م كان لأوّل كرسي للدراسات العربية في جامعة كامبريدج، وأنشأت جامعة لندن كرسيا للغة العربية ثمّ أنشأت كرسيا للدراسات الإسلامية.

ثمّ أخذت الجامعات الإنجليزية الأخرى تنشئ أقساما للدراسات الشرقية ومعظم الجامعات الإنجليزية اليوم تدرس اللغات والدراسات الشرقية، ثمّ أخ ذت هذه الجامعات تنشئ مدارس وكليات لها في إفريقيا والبلاد العربية والإسلامية وفي الهند وباكستان.

واهتمت مكتبة المتحف البريطاني في لندن بالتراث الشرقي، وضمّت إليها مكتبات بعض القناصل الذين عملوا في القاهرة وبغداد ومسقط دمشق، وجمعوا كثيرا من المقتنيات الشرقية من مخطوطات ووثائق ومصاحف ومعاجم ومسجلات رسمية، وهناك فهارس للمخطوطات العربية وفهارس للكتب العربية في المتحف البريطاني وضعها بعض الباحثين.

ومن أبرز المستشرقين الإنجليز:

"هاملتون جيب" (1895-1971)، "آرثر جون أربري" (1868-1945)،"رينولد فيكلسون" (1868-1945).[1]

3- المدرسة الألمانية:

(1) محمد فاروق النبهان: الإستشراق- تعريفه، مدارسه، آثاره، (مرجع سابق) ، ص 26-29.

لقد شعرت ألمانيا بأهمية الدراسات الشرقية، أنشأت في جامعاتها معاهد اللغات الشرقية، وفي بداية هذا القرن ازداد اهتمام الجامعات الألمانية بالدراسات العربية والإسلامية، ويوجد في برلين متحف للفن الإسلامي، وأنشأ "فلايشر" الجمعية الشرقية الألمانية التي تبنّت نشر التراث العربي والإسلامي ونشرت هذه الجمعية عددا من أمهات الكتب العربية، وأسس "هارتمان" الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الإسلامية التي أصدرت مجلة "عالم الإسلام" كما أصدر المستشرقون عددا من المجلات عن الشرق وتراث الشرق.

وتتميّز المدرسة الألمانية بالجدّية والعمق والدّقة، ومن الصعب تجاهل دورها في مجال البحث والدراسة، بالرغم من أنّها بدأت في وقت متأخر، فإنّ المستشرقين الألمان أكدوا أصالة هذه المدرسة وقوّتها وقدرتها على التصدي لقضايا فكرية هامّة.[1]

ومن أبرز علماء هذه المدرسة:

"كارل بروكلمان" (1868-1956)، "جوزيف شاخت" (1902-1962).

وهناك مدارس إستشراقية أخرى تختلف أهميتها باختلاف عطائاتها العلمية وتتميّز كل منها في معظم الأحيان بطبيعة صلاتها بالحضارة العربية والإسلامية منها: المدرسة الإسبانية، الروسية، الإيطالية، والأمريكية ...

والمدارس الإستشراقية قديمها وحديثها ما كان منها في الماضي وما سيكون في المستقبل سواء اكتشفت تلك المدارس أو لم تكتشف هي أداة علمية تتحرك تلقائيا حركتها العلم يق، وتتحكم فيها أجهزة قوية تراقب حركتها وترصد مواقعها، وتتيح بدّقة نتائج بحوثها ودراساتها، ويوجد كل ذلك ضمن إستراتيجية غربية مدروسة توفر للغرب حماية لمصالحه وتكرس سيطرته على الشرق.

خامسا: وسائل المستشرقين في تحقيق اهدافهم

لقد سلك المستشرقون كل طريق ظنوه موصلا لغاياتهم ومحققا لأهدافهم، فعقدوا المؤتمرات وألفوا ونشروا الكتب، وأصدروا الموسوعات والدوريات، وأنشئوا كراسي للإستشراق، ودرّسوا في الجامعات واشتركوا في المجامع العلمية، إلى غير ذلك من الوسائل المتنوعة التي سخّروها لخدمة أغراضهم على كل صعيد.

ومن أبرز وسائل الإستشراق مايلي:

(2) مرجع نفسه، ص 30-32.

1- تأليف الكتب:

أولا يخفى أنّ للكتاب دورا كبيرا في نشر المبادئ وإشاعة الأفكار، وهو وسيلة قديمة لم تستطع المخترعات الحديثة في مجال الاتصال والإعلام أن تقلل من خطورتها، ودورها الفعّال في ترويج ونشر الثقافات والدعوات.

من هنا اهتّم المستشرقون بهذه الوسيلة الفعّالة، فعكفوا على تأليف الكتب، وإصدار الموسوعات، وإخراج المعاجم، حتى صار لهم إنتاج ضخم، وسيل متدفق من الكتب والموسوعات التي تحمل أفكارهم، وخلاصة آرائهم، بشتى اللغات الأجنبية، وبعض هذه الكتب ترجم إلى اللغة العربية.[1]

وعليه أنتج المستشرقون آلاف الكتب والبحوث بل عشرات الآلاف التي تضمنت الحديث عن العقيدة والشريعة والسنة والتاريخ والفقه والسيرة واللغة العربية وغيرها.

2- دور النشر الإستشراقية:

وإذا كان للكتاب أهمية كبرى، باعتباره وسيلة هامّة وفعّالة لنشر المعارف والمعتقدات فإنه في عصرنا الحاضر لا غنى عنه عن دار النشر التي تتولاه، فتقوم على إعداده وتجهيزه فنيّا، والترويج له وتوزيعه في الأماكن والبلدان المختلفة، إلى غير ذلك مما تقوم به دور النشر في الوقت الحالي وما تطلّع به من مهام، تسهم في إنجاح الكتاب ونحوه، وتحقيق الهدف المرجو من وراء تأليفه.[2]

ومن هذا المنطق كان من وسائل إذاعة الفكر الإستشراقي في العالم الغربي، وأحيانا خارجه، والترويج لأبحاث وكتب المستشرقين دور النشر ومن أشهرها:[3]

في باريس:

- دار إرنست لرو، معروفة بنشر المطبوعات الإشتشراقية من كتب ومجلات ونشرات، وبإصدار فهرس مفصّل دقيق كل عام بعنوان: مسرد عام.
- دار مزونيف، من أكبر دور النشر الإستشراقية في فرنسا وأوربا.

(1) إسماعيل علي محمد: الإستشراق بين الحقيقة والتضليل- مدخل علمي لدراسة الإستشراق،الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 2000، ص80.
(2) ينظر: إسماعيل علي محمد: الإستشراق بين الحقيقة والتضليل، (مرجع سابق)، ص 74،75.
(3) سعد آل حميد: أهداف الإستشراق ووسائله، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية،د.ط،د.ت، ص 13.

– دار هنري فلتر، وفيها الكثير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية النفيسة، وقد وصفت في عدّة فهارس متلاحقة.

في إنجلترا:

– دار برويستاين وشركاه في لندن، وتنشر فهرسا دوريا باسمه.

– دار هيفر وأولاده في كمبريدج، وتنشر بعنوان المكتبة الآسيوية.

– فهارس دقيقة للمطبوعات الشرقية على اختلاف موضوعاتها.

– دار برنارد كواريتش في لندن، وتنشر فهرسا دقيقا مشهورا بعنوان: "**فهرس المؤلفات الشرقية**".

في إسبانيا:

– دار مايسترى في مدريد.

في ألمانيا:

– دار هاراشوفيتش في فيسبادن، ولها نشرة شهرية لوصف ما يصدر من الكتب في مصر ولبنان وسوريا والهند والمغرب الأقصى.

في هولندا:

– دار بريل في بولونيا.

كان لدور النشر دور فعّال في إعداد وتجهيز الكتاب والمساهمة في إنجاحه.

3– المجلات:

وللمستشرقين اليوم عدد كبير من المجلات السيارة في كثير من بلدان أوربا، وقد زاد تنوع المجلات والدوريات الشرقية لدى المستشرقين على ثلاثة مائة مجلة متنوعة خاصّة بالإستشراق ماعدا ما تتعرض له في موضوعاتها العامّة، كجملة القانون المقارن ومحفوظات التاريخ، ومباحث العلوم الدينية، وهي تنشر بمختلف اللغات، وتتناول مباحثها الشرق في لغاته وأديانه وعلومه وآدابه وفنونه، قديمها وحديثها.

ومن هذه الدوريات نذكر:

– مجلة جمعية الدراسات الشرقية، أنشأها المستشرقون الأمريكيون في جامبير بولاية أوهايو، وكان لها بعض فروع في أوروبا وكندا.

– مجلة شؤون الشرق الأوسط تصدر بالإنجليزية في أمريكا، يحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين، واهتمامها موّجه في الدرجة الأولى إلى الجوانب السياسية.[1]

4– كرسي التدريس في الجامعة:

ولقد استخدم المستشرقون التدريس في الجامعة لنشر أفكارهم وتوصلوا بذلك لتحقيق أغراضهم.

ولا تكاد تخلوا عاصمة من عواصم الغرب الآن من جامعة بها تخصص أو قسم خاص بالإستشراق عامّة، وأحيانا تكون في بعضها معاهد مستقلّة للدراسات الإستشراقية، حيث يتخرّج من أقسام الإستشراق ومعاهده في الغرب آلاف من الدارسين، يتوجهون بعد ذلك إلى ساحات العلم والفكر والسياسة وغيرها، وقد تشربوا فكر أساتذتهم من المستشرقين وتأثروا بأخلاقهم، والتزموا بمناهجهم، ولا ننسى أنّ من بين أولئك المتخرجين كثيرين من أبناء المسلمين والعروبة، انبعثوا ليتعلموا في الغرب ويتخرجوا بأيدي المستشرقين.

وهذه الأقسام تمنح درجات الماجستير والدكتوراه في أي فرع من فروع الدراسة بها سواء للغربيين أم لغيرهم من أبناء العرب والمسلمين.

إنّ المستشرقين لا يبثون آرائهم من خلال التدريس في كراسي الإستشراق بجامعات الغرب فقط، بل يأتون كذلك للتدريس والمحاضرة في الجامعات الموجودة في البلاد الإسلامية والعربية.

كان كرسي التدريس في الجامعة أهم وسيلة عند المستشرقين وذلك من أجل بث آرائهم الخبيثة في التلاميذ والتأثير عليهم فكريا وثقافيا ودينيا.

5– المؤتمرات:

لقد اتخذ المستشرقون من المؤتمرات وسيلة لطرح أفكارهم، ونشر آرائهم، وتقوية أواصر التعاون، وزيادة فرص التنسيق فيما بينهم ولقد عقدوا عشرات المؤتمرات التي اشترك فيها جموع غفيرة من المستشرقين من بلدان وجامعات شتى ناقشت مئات القضايا والبحوث المتعلقة بالشرق في كافة جوانبه، وهذه المؤتمرات منها ما هو دولي ومنها ما هو إقليمي.

حيث يضم المؤتمر مئات العلماء من أعلام المستشرقين وأقطاب الوطنيين في الغرب والشرق، فقد اشترك في مؤتمر أكسفورد 900 عالم عن 25 دولة، و85 جامعة، و69 جمعية علمية.

(1) إسماعيل علي الحمد: الإستشراق بين الحقيقة والتضليل، (مرجع سابق)، ص 87،86.

وجدول المؤتمر وما يضاف إليه من خطب وأبحاث وآراء ومقترحات لتنشر في مجلدات بعنوان **" أعمال المؤتمر يهتدي بها كنظم ومناهج ووسائل"** للمضي في هذه الحركة العالمية، كما تصبح أصولا وأمهات وأسانيد للباحثين.

وقد تمّ عقد أوّل مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام 1873م ثمّ تتابعت المؤتمرات بعد ذلك بصورة منتظمة حتى بلغت أكثر من 30 ثلاثين مؤتمرا دوليا حتى عام 1976. بالإضافة إلى بعض المؤتمرات الإقليمية أو الجامعية.[1]

كانت المؤتمرات أيضا وسيلة من أجل نشر الأفكار ومناقشة القضايا المتعلقة بالشرق من كل جوانبه.

6- الاشتراك في المجامع العلمية الرسمية في العالم الإسلامي: كمصر، دمشق، وبغداد، ويعتبرون التمثيل في هذه المجامع وسيلة لتحقيق أهدافهم، حيث يعملون جاهدين على تحويل هذه الأهداف إلى مناهج، سواء في الدعوة إلى أحياء العاميات على الدعوة إلى تعديل النحو العربي، أو ما يسمى اللغة الوسطى، أو الكتابة العربية المعاصرة وكلها مجالات ترمي إلى إيجاد فجوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة.

7- استخدام التلاميذ: للمستشرقين، والمبشرين، تلاميذ من العرب والمسلمين ليقوموا بالترويج لآراء المستشرقين والمبشرين نيابة عنهم من غير نسبتها إليهم، بل على أنها من إنتاج قرائح أولئك التلاميذ، والعملاء، وثمرة اجتهادهم، وتفكيرهم بينما هي في واقع الأمر صدى لآراء وسموم خصوم الإسلام.

كان التلاميذ هم فقط وسيلة اتخذها المستشرقون من أجل الترويج لأفكارهم بينما كانت منسوبة إليهم في الواقع.

8- إرساليات التبشير في العالم الإسلامي:

تقوم إرساليات التبشير في العالم الإسلامي بدور كبير في ترويج الفكر المعادي للإسلام الذي أنتجه الإستشراق، وسود به المستشرقون آلاف الكتب، والمجلدات.

والإرساليات: تعني جماعة من المنصرين يقومون بنشر المسيحية في إقليم معين وتضم الإرساليات عادة عدّة مراكز يختص كل منها بالعمل في المدينة المعنية، يطلق عليها مراكز التبشير، كما توجد مراكز فرعية على مستوى القرى.[2]

9- جمع وتحقيق المخطوطات العربية:

(1) عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام – عرض ونقد، (مرجع سابق)، ص 37،36.

(2) سعد آل حميد: أهداف الإستشراق ووسائله، (مرجع سابق)، ص 16،15.

وعنوا في سبيل ذلك بالمخطوطات العربية والمؤلفات العربية قديمها وحديثها، وتصدوا لجمعها وفهرستها ونشرها وتحقيقها وترجمتها، لتسهيل الاستفادة منها، إذ عرفوا أنّه لا مجال للشك في أنّ دراسة اللغة العربية هي الأساس الرصين لدراسة الحضارة العربية والتعمق في فهم العالم العربي والإسلامي، وفهم التراث العربي والشعر العربي.[1]

وقد قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوربية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة وتقدر المخطوطات العربية الإسلامية في أوروبا بعشرات الآلاف.

ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا أيضا بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوربية كافة.[2]

كان الهدف من جمع المخطوطات العربية وتحقيقها وترجمتها ونشرها هو لتسهل عليهم دراسة اللغة العربية لأنها السبيل الوحيد لدراسة التراب العربي والحضارة العربية.

10- الاهتمام بنشر اللهجات الإقليمية العامية، وتعليمها وتعلّمها، ومحاولة وضع قواعد خاصة لها لإضعاف اللغة الفصيحة المشتركة.

11- اهتمام المؤسسات المتنوعة بالمنح والبرامج والتدريب ومشاريع البحث والجهود الاستشارية للغة العربية وبحوثها وأبنائها ومشاريعهم، كمؤسسة فورد، وفولبرايت، ورابطة دراسات الشرق الأوسط، وهيئة الرائد. ومعهد هدسون وغيرها.

12- محاورة المهتمين بالدراسات اللغوية والحضارة الإسلامية، والاتصال بهم بوسائل مختلفة.

13- تشجيع زيارات المستشرقين إلى البلاد الإسلامية ، وتشجيع زيارات متخصصين عرب إلى بلادهم الغربية.

14- رفض تسجيل البحوث الجامعية والقضايا اللغوية أو الحضارية الرصينة، ورفض الإستشراق عليها في جامعاتهم، أو في الجامعات التي يسترقون عليها في بلادنا، وهي تكاد تكون سمة عامّة، لأنّهم يريدون بحوثا موّجهة يقترحونها ويصرون عليها في معظم الأحيان.

15- الطعن باللغة العربية الفصيحة، والحط من شأنها، فهي في رأيهم تتميّز بضبابية عامّة للفكر.

---

(2) علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج 15، 2001، ص 9.

(2) فاطمة هدى نجاة، نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، (مرجع سابق)، ص 116.

16- تبعية جامعاتنا ومعاهدنا للغرب الاستعماري ، فهي تدار بشكل تبعي، ومناهجها الدراسية سيئة ، وجهاز التدريس مدرّب تدريبا سيئا، وغياب شبه مطلق للأبحاث المقدّمة ولوسائل البحث العلمي.

يجب الاعتراف بالجهود الجبّارة والموضوعية التي بذلها المستشرقون نحو تراثنا العربي الإسلامي، اللغوي والأدبي والتاريخي والعلمي والفلسفي، حفظا وفهرسة وتحقيقا ونشرا وترجمة وتأليفا بغض النظر عن الأغراض التي كانوا يرمون إليها.[1]

المبحث الثاني: علاقة الإستشراق باللغة العربية

أوّلا: دراسة اللغة العربية:

لقد استقطبت اللغة العربية دارسين لها فتعلموها، وشغفوا بها على نحو للنظر مرّتين، الأولى: حين انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية فاحتاج أبناء الشعوب غير العربية (الموالي) أن يتقنوا العربية، لكونها لغة الدين والدولة والحضارة حتى برع منهم علماء فيها، وأيضا لما درسها الغربيون واهتمّوا بتعلمها لأسباب شتّى منها ما هو ديني أو أساسي أو علمي في إطار الحركة الإستشراقية.

1- عند العرب:

من المعلوم أنّ العربية لغة قديمة ولكن نصوصها التي وصلت إلينا لا تمثّل العمق التاريخي لعمر اللغة، فنصوص العربية ممثلة في الشعر الجاهلي بل حتى في لغة النقوش، تُعدّ حديثة العهد إذا ما قورن ذلك بعمر الظواهر اللغوية الشفوية للعربية، فاللغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة، ولعلّ أقدم النقوش التي يمكن أن تمثّل العربية المكتوبة يعود إلى سنة 328م وهو نقش النّمارة. أمّا الظاهرة اللغوية المنطوقة فتشهد بعراقيلها لغات سامية وصلت إلينا منها نقوش موّغلة في القدم، كالنصوص الأكادية التي تعود إلى 2450 قبل الميلاد، وهي تشهد بقدم كثير من الأدوات والكلمات والصيغ الصرفية، والتراكيب النحوية، ... وغير ذلك ممّا تشهد بقدمه في لغتنا هذه اللغة أو تلك، من اللغات السامية التي شاطرت لغتنا كثيرا من ملامح الشبه الصرفية، والنحوية، الصوتية والدلالية، حتى حسب بعض الباحثين أنّ اللغة الأوغاريتية (وترجم أقدم نصوصها المكتشفة إلى حوالي 1300 سنة قبل الميلاد) لهجة من لهجات العربية.[2]

(1) علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمية العربية، (مرجع سابق)، ص 10،11.
(2) إسماعيل أحمد عمايرة: بحوث في الإستشراق واللغة، دار البشير، الأردن، 1996، ط1، ص 20،21.

يعتبر الجزء الثاني من العصور الوسطى (حوالي 1100م) أهم حقبة في تاريخ علم اللغة، فقد احتلت الدراسات اللغوية مكانا هامّا ولكنّها كانت في جوهرها دراسات تربوية في أهدافها.

وفي فترة إحتلال العرب لألمانيا كانت "طليطلة" مركزا لترجمة الأصول العربية "لأرسطوا" إلى اللغة اللاتينية وكذلك شروح العلماء العرب وأشهرهم "ابن رشد"و"ابن سينا"، وأهم مايميّز هذا العصر ظهور مدارس مختلفة في العالم العربي (البصرة والكوفة) وتطوّر التنافس اللغوي بين هذه المدارس حيث ظهر أثر الفلسفة والعلوم اليونانية على الدراسات العربية.

ولقد بلغت الدراسات النحوية العربية ذروتها في نهاية القرن الثامن عندما ظهر "سيبويه" البصري بكتابه المشهور"الكتاب"، فهو الذي وضع أسس وقواعد اللغة العربية الفصحى واعتمد في ذلك على ما قدّمه من سبقوه، فقد حددّ أقسام الكلام الثلاثة: الاسم والفعل والحرف، واعتمد في وصفه لتعريف الأفعال على الأصل الثلاثي، وقد استعمل اللغويون فيما بعد هذه الأصول أو الجذور في بناء المعاجم العربية.[1]

اللغة القديمة كانت لغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة، وما وصلت من الظواهر اللغوية المنطوقة اللغات السامية كالنصوص الأحادية، والنص الأوغارتية.

2- عند الموالي:

إذا كان انبثاق دراسة العربية يحتضن فهم القرآن الكريم فلقد صار الموالي عاملا مسرعا في نشر الإسلام ، وصار التباين فيما بعد واضحا بين اللغة المنطوقة، وأضحى طموح الموالي امتلاك العربية رغبة في التكلم بها وقراءة القرآن واحتلال مكانة مرموقة في المجتمع العربي، ولقد أثّر سعي الموالي لتعلّم العربية في تحويل دراسة "النحو العربي من منهج علمي إلى منهج تعليمي..."

وقد اجاد كثير من الموالي في دراسة العربية وتفوقوا فيها، وهذا مرجعه إلى أمران:

الأوّل: أمل يحدوهم في تولّي المناصب والتقرّب من الحكام، وذلك بإجادة لغة الدولة والدين.

والثاني: شعورهم بظلم فكرة السليقة المعتمدة شرطا في إجادة العربية، وبحسها لا مكانتهم، ولهذا كان بعضهم مثل: "أبي إسحاق الخضرمي" (ت 117هـ)

(1) عبده الراجحي وآخرون: مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر،د.ط،د.ت، ص 33-35.

« مولعا لكونه من الموالي بالعثور على الشيء في لغة البدو ويتناوله بالنقد والتصحيح» وقد تطوّرت الدراسات اللغوية على أيديهم، والعرب ولاسيما في العصر العبّاسي بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال والنضج لا مثيل له.(1)

كان لزاما على أبناء الشعوب غير العربية إتقان اللغة العربية وذلك من أجل التعلم بها ودراستها وفهم القرآن الكريم، حيث تمكنوا من ذلك، ودرسوا العربية حيث لقيت تطورا ملحوظا على أيديهم لا مثيل له.

3- عند المستشرقين:

حرص المستشرقون على دراسة كل ما يتصل باللغة العربية من قريب أو بعيد، فبحثوا في فقهها وأصواتها، لهجاتها ونحوها، وصرفها وأصولها، ومعاجمها، وغزارتها ومادتها وفلسفتها وعلاقاتها باللغات الأخرى وخاصّة اللغات السامية ومميزاتها، وعناصرها وتاريخها، ونقوشها وكل ما أنتجته هذه اللغة حتى يبدوا وكأنهم قد صبّوا باهتمامهم كله عليها، وذلك لصلتها الوثيقة بالإسلام والقرآن والحديث والشريعة على حد سواء.(2)

ويرجع هذا الاهتمام إلى أهمية اللغة العربية باعتبارها ثروة دينية وفكرية وحضارية تعبّر عن مشاعر الأمة وآدابها ومنتجاتها، لذلك لجأ الباحثون إلى اللغة ليستنبطوا منها خصائص أمّة من الأمم، كلما عجزت الدلائل الأخرى أن تعطيهم صورة صحيح عنها، فرقّي لغة من اللغات عنوان رقّي الأمة الناطقة بها، كما أنّ انحطاط لغة من اللغات عنوان انحطاط الأمّة الناطقة بها.(3)

وقد تحدّث الباحث"**إسماعيل عمايرة**" في بحث له حول الإستشراق عن صلة الغرب باللغة العربية بوصفها من أشّد العوامل التي يمكن أن تقرّب أو تباعد بين الحضارات وقد ترتبّ على جهل المسلمين والأوربيين كل منهما بلغات الطرف الآخر نتائج خطيرة أثّرت على تاريخ العلاقة بين الطرفين وقد ركّز الحديث على الجانب الإستشراقي محاولا في ذلك «أن يبيّن الخلل الذي ترتب عن قلّة تمكن أولائك النفر المثقّف يمثّلون الغرب في تعاملهم مع المسلمين من خلال اللغة العربية بوصفها أهم لغة لفهم الإسلام والمسلمين.»

(1) عبدالحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان-العربية أنموذجا، إشراف محمد عبد الزهرة غافل الشريفي، جامعة الكوفة، 2010، ص، 208.

(2) أحمد سمايلوفتش: فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،(مرجع سابق) ، ص 184،185.

(3) فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الإستشراق،(مرجع سابق) ص 207.

هذا من جهة ومن جهة أخرى برزت فئة من المستشرقين ممن درسوا اللغة العربية ودرسّوا بها وحاولو ا الإلمام بها وإجادتها، ورجعوا في دراساتهم إلى بعض المصادر العربية.[1]

ويرى بعض الدارسين أنّ للمستشرق الهولندي " **توماس ابرنيوس** " الفضل في وضع الأساس المتين لدراسة اللغة العربية وتولي كرسي العربية منذ سنة 1613م في جامعة " **ليدن** " ويرجع إليه الفضل أيضا في إنشاء "**مطبعة ليدن**" التي اشتهرت بطبع المخطوطات العربية العتيقة وذلك من ماله الخاص.

ثمّ توالت بعدها نشر العديد من الآثار والمختارات العربية والمخطوطات النفسية والتي مازالت محفوظة في مكتبة " **ليدن**" إلى الآن، وأصبحت بذلك مركزا علميا عربيا وقبله الطلبة الغربيين لتحصيل اللغة العربية في أوربا كلها.[2]

وخلال القرن الثامن عشر (18) بزغ نجم المستشرق الألماني " **يوهان يعقوب رايسك** " (ت 1774م) الذي ترك بصمات إيجابية خدم بها اللغة العربية مبرزا مدى صدقه وبراءته العلمية إزاء هذه اللغة، فقد وضعه "**يوهان فينوك**" بقوله:« وأخذه شوق لا يوصف وغير قابل للقمع لتعلم اللغة العربية،...شرع في دراسة اللغة العربية بنشاط كبير وتفوّق في دراسة النحو العربي دون الأخذ بمعونة أي معلّم ما، مستندا على موهبته الخاصّة لتعلم اللغات فقط وسعى أن يشتري كل ما وجد من الكتب العربية المطبوعة رغم فقره المدقع وكونه في حاجة إلى ضروريات الحياة.»

وقد أتى "**رايسك**" على مطالعة ما كان موجودا من الآثار العربية، ولم يناهز العشرين من عمره، فازداد ارتباطه باللغة العربية حتى تحول هذا الارتباط إلى شغف وحب لا حدود لهما.[3]

وبين النصف الثاني للقرن التاسع عشر والنصف الأوّل للقرن العشرين برز عدد من المستشرقين نخصّ بالذكر منهم على سبيل المثال:

المستشرقان الألمانيان:"**أوجست فيشر**" (1865-1949)، "**كارل بروكلمان**" (1868-1956).

(3) علي بن إبراهيم الحمد النملة: الإستشراق والدراسات الإسلامية- مصادر الإستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ج3، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية، ط1، 1998، ص 42.

(2) مرتاض عبد الجليل، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط2،2007،ص 185.

(3) مرجع نفسه، ص 194.

امتاز الأوّل بالبراعة والدّقة فيما تناوله من أصول اللغة وفن المعاجم وما اشتمل على الشعر القديم ولهجات الشعوب، فنجد بمذهب التعليم العربي في جامعة ألمانيا وأنشأ مجلة الدراسات السامية في " **ليبرج** " سنة 1932م، وصارت له شهرة واسعة وأنتجت عضوا في المجتمع العربي بدمشق، والمجتمع اللغوي بمصر، ومن آثاره:

"**مخارج الأصوات في اللهجات العربية** "، "**فهرس المخطوطات العربية والفارسية** "، الخاصّة بالرحّالة"**برتشاد**"، وخير ما خلّف هو"**المعجم اللغوي التاريخي**".[1]

أمّا المستشرق الثاني"**بروكلمان**" الذي أثرى اللغة العربية بخدماته، كان هو الآخر عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، فقد ترك هذا الرجل بصمات ساطعة عرفته التراث الأدبي واللغوي القديم إلى الشعوب الغربية، ووهب موهبة في تراث هذه اللغة لم يوهبها عربي معاصر له، فقد أقدم على تأليف كتاب في نحو اللغة العربية بالألمانية نشر في عزّ تطور الدراسات اللسانية الحديثة، وكتابه" **تاريخ الشعوب الإسلامية** " الذي لا يخلو من مظاهر الثقافة العربية والذي ترجم إلى جميع اللغات الغربية.

وليس مبالغا فيه نعي المجتمع العلمي العربي"**لبروكلمان**" بقوله:

«موت الفقيد خسارة كبيرة للعلم والإستشراق واللغة العربية وآدابها».

وذلك لمستوى هذا المستشرق الذي وقف شبابه وكهولته وشيخوخته في الإلمام بالعصور العربية والإسلامية، وبالتالي فقد خلّف منهجا جديدا في إعادة دراسة وقراءة تراثنا العربي والإسلامي على نحو جديد لم تعهده الدراسات العربية وتحرياتها الدقيقة من: ترجمة ووصف، وتحديد وإحصاء، واقتناء لأثر المخطوط شرقا وغربا.[2]

وعلى العموم بات الإستشراق بجميع تياراته واتجاهاته الفكرية النفعية منها والحيادية في حاجة ماسّة إلى تعلم اللغة العربية، فالذي اتصل منهم بالدوائر الاستعمارية بشكل مباشر أو غير مباشر...

احتاج إلى العربية ليتمكن بها من التفاهم مع أهل المنطقة ولقراءة عاداتها وتقاليدها، ورسم خططها وإعادة صياغتها في ضوء المصالح الإستعمارية، وكذلك من كانت لهم أغراض ثقافية بغض النظر عن الطموحات العسكرية، فقد احتاجوا إلى معرفة العربية للوقوف على معاني القرآن والحديث النبوي، والتاريخ الإسلامي، ثمّ لمعرفة واقع المجتمع الإسلامي نفسيا واجتماعيا، وأفضل السبل لادخار الثقافة البديلة إليه.[3]

(1) محمد الجابري: الشبه الإستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم، دار الأمان، ، الرباط،ط1، 2009، ص 365.

(2) ينظر: مرتاض عبد الجليل،(مرجع سابق) ص 186،187.

(3) إسماعيل عمايرة: المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية دار حنين ،الأردن،ط2، 1992 ،ص 54.

وبالتالي تبقى الصلة وثيقة بين اللغة والإستشراق بمناهجه ونتائجه، حتى بالغ أحدهم في هذا التقدير فذهب إلى«أنّ الإستشراق علم يختص بفقه اللّغة خاصّة»[1]

وقد عنى المستشرقون في سبيل ذلك بالمخطوطات العربية والمؤلفات قديما وحديثا، وتصدّوا لجمعها وفهرستها ونشرها وتحقيقها، وترجمتها لتسهيل الاستفادة منها، إذ عرفوا أنّه لا مجال للشك في أنّ دراسة اللغة العربية هي الأساس الرصين لدراسة الحضارة العربية والتعمّق في فهم العالم العربي الإسلامي وفهم التراث والشعر العربيين.[2]

درس المستشرقون اللغة العربية وكل ما تعلق بها وذلك لصلتها بالإسلام والقرآن، وكان السبب وراء هذا الاهتمام هو أهميتها البالغة لما لها من مزايا قوية جعلتهم يلجأون إليها.

- مختصر قول الباحث"عمايرة" أنّ اللغة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعرب لأنها السبب الوحيد لفهم الإسلام والمسلمين.
- نجد من المستشرقين من انكبّوا على دراسة اللغة العربية من أصول وفن المعاجم وتفوقوا فيها حيث أنتجوا الكتب وترجموها لأنها السبب الوحيد لفهمها.

وهذا إن ذلّ على شيء فإنما يدل على تعمق المستشرقين في دراسة اللغة العربية قلبا وقالبا حتى وصلت بهم الدرجة للتدريس بها وجعلها مصدرا من مصادر دراستهم.

ثانيا:مناهج المستشرقين في دراسة اللغة العربية

من سمات منهج البحث اللغوي الدقة ،لتنظيم ،الملاحظة ،التجريب والموضوعية إذ أن علم اللغة يحتاج إلى منهج يدرسها لذاتها ويصل إلى حقائقها ويصف قواعدها وللغة مناهج تتعدد باختلاف مرجعيات اللغويين ومن أبرزها: المنهج التاريخي ،المنهج المقارن ،المنهج الوصفي و المنهج الإحصائي.

*** المنهج التاريخي:**

1- المقصود بالمنهج التاريخي:

(1) إسماعيل عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية،دار حنين ،الأردن، ص 15.

(4) علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المشرق دوزي في المعجمة العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث،مج15،2001 ، ص 9.

الباحث التاريخي الذي يريد البحث في ظاهرة لغوية ما في العربية، فإنه يحاول أن يوفر لنفسه أقدم المصادر التي استعملت هذه الظاهرة، والعودة إلى أقدم النصوص وأوثقها ويراقب الصيغ التي جاءت إليها الكلمة صرفيا من خلال استعمالاتها النصية ويحدد الاشتقاقات التي تبنّت استعمالها ، والسياقات النحوية والبلاغية والتاريخية التي قد يكون لها أثر خاص في إلقاء الضوء على تاريخ الظاهرة.

2- الحاجة العربية إلى المنهج التاريخي:

لاشكّ في أنّ الحفاظ على اللغة القرآنية هدف أسمى ينبغي أن تتجه نحوه الأنظار وإن توّجه إليه الجهود، بيد أنّ هذا لا يتعارض مع هدف آخر يتطلبه المنهج التاريخي وهو مراقبة التطور الدلالي للكلمات والأساليب العربية نفسها ورصد ما خالط العربية من جرّاء احتكاكها بالفارسية، التركية، والإغريقية، السريانية وغيرها.[1]

ونحن في حاجة إلى الدراسات اللغوية التي تبيّن لنا تجربة الأخذ والعطاء بين لغتنا واللغات التي احتكت بها، ودراسات أخرى توّضح تطور الألفاظ دلاليا في كل عصر وما طرأ عليها من تغيير في الشكل والمضمون، وقد تزداد الحاجة إلى دراسات أسلوبية تبيّن المعاني البلاغية والأسلوبية الجديدة، فالتتبع التاريخي يحاول رصد الظواهر في منابعها وتوّجهاتها، وما تؤول إليه مع تحديد ذلك كله زمنيا ومكانيا، والسعي نحو تفسيره تفسيرا ينطلق أصلا من الواقع النصي الذي يعدّ الوثيقة التاريخية في يد الباحث التاريخي.

3- أسس المنهج التاريخي:

- دراسة حياة اللغة بحقبها المتعددة؛لذا سميت الدراسات اللغوية على وفق هذا المنهج بالدراسات التتابعية أو الطولية .

- دراسة تغيرات مستويات اللغة كافة، صوتية وصرفية وما إلى ذلك.

- اهتمامه بدراسة اللغة المكتوبة فهو يحصل على مادته من الوثائق، والنقوش، والآثار والمخطوطات.[2]

4-أهمية المنهج التاريخي:

(1) إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، (مرجع سابق)، ص21-25.

(2) عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 208.

وفيما يأتي أمثلة توضح أهمية المنهج التاريخي وما يمكن أن تحققه على صعيد الظاهرة اللغوية في ماضيها ومستقبلها، في المعجم، والنحو، والصرف:

1- الدراسات المعجمية والمنهج التاريخي:

العربية بحاجة ماسّة إلى معجمات لغوية تكمّل معجماتها المعيارية القديمة وتبّن أمور جديدة، ومنها:

أ- الميز بين العربي الأصيل، والمعرب أو الدخيل، الذي وفد إلى العربية من لغات أخرى على مر العصور.

ب- تتبع ميزة حياة اللفظ العربي وذلك عبر مراحل زمنية متتابعة وفي مجالات استعماله المختلفة مع ملاحظة ما طرأ على الألفاظ من تطوّر أو تغيير في الشكل والمضمون في كل عصر من عمر اللغة.

ج- التعرف على المؤثرات التي تتحكم في سيرة حياة الألفاظ العربية، ولا تخص أهمية ذلك من جانبين: جانب يقف بنا على أسباب غياب كثير من الألفاظ التي امتلأت بها معجماتنا عن أفق الاستعمال اللغوي لتصبح رمزا خاصّا بالماضي أو حكرا على فن معين، أو ظروف بيئية مميزة للمناخ، ... أو ما شابه ذلك.

والجانب الآخر يقف على مجموعة العوامل التي يمكن أن تتحكم في مستقبل الثروة المعجمية، وذلك بالوقوف على أسباب موت الألفاظ وحياتها.

* المستشرقون ومشروعات المعجم التاريخي للعربية:

لقد كان من الطبيعي أن يستعمل علماء الإستشراق الأوروبيون المعاجم والموسوعات العربية في البداية للاستعانة بها في دراستهم وكان من المسلّم به عندهم أنه من العبث وإضاعة الجهد بدل جهود كثيرة في هذا المجال طالما أنّ المعاجم العربية التي كتبها العلماء العرب أنفسهم متوفرة في كل فرع وموضوع فضلا عن الثقة الكبيرة التي تحيط بتلك القواميس، والأمانة العلمية، والدّقة. على حدّ تعبير "**أولمان**".

ولعّل من أهم جهودهم في مجال التأليف المعجمي في ضوء المنهج التاريخي ما عمله المستشرق الهولندي"**راينهارت دوزي**" الذي صنّف ما أسماه بذيل المعاجم العربية، وقد حاول أن يعقب على المعاجم العربية بذكر الكلمات التي لم ترد في المعجمات القديمة، في ما أسماه "**مصّنفات العرب في القرون الوسطى**"

ويمثّل لذلك بمؤلفات "**ابن القوطية**"و"**ابن خلدون**"، "**ابن بطوطة**"، ومن مصادره: "**ألف ليلة وليلة** "، "**كليلة ودمنة**" ، وغيرهم.

كما نجد محاولة المستشرق "**دوزي**" التي تعد ثمرة من ثمار المنهج التاريخي، فقد نشر معجمه هذا سنة 1881م،أمّا الثمرة الثانية فتتمثّل في مشروع " **فيشر** " الذي لم يقدر له أن يخرج إلى حيّز الوجود، فلم يصدر منه سوى المقدمة وبعض مادّة الهمزة،وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني من دراسة مفصلة لمعجمه ، كما نجد مشروع آخر للمستشرق الألماني" **كريمر** " فقد ظهر ذلك عام(1952-1954) بعنوان "**معجم تيدور نولدكه للغة العربية الفصحى**".

وبقيت الجهود مستمرة من بعد المستشرقين "دوزي "و"أوجست فيشر " في ميدان تأليف المعاجم حيث نذكر على سبيل المثال المستشرقين الألمانيين :"أنطون شبيتال"، "هلمون جيتيه" لإصدار معجم تاريخي للعربية الفصحى، وقد صدر منه مجلدان، بيد أنّ هذا المعجم يظل أقل طموحا في خطته من معجم" فيشر".[1]

2- الدراسات النحوية والمنهج التاريخي:

يحسب المرء للوهلة الأولى أنّ النحو العربي بقواعده يظل ثابتا في العربية، تلك الثوابت التي لا ينبغي أن يمسها التطور، وإن كانت الألفاظ تتطوّر فتشّكل بتطورها مظهرا من مظاهر المتغير الذي ربما لا يثبت على معنى واحد، فإنّ قواعد النحو ينبغي أن تثبت فلا تتغير، إذ هي تحرص على إرساء المعايير النحوية الثابتة، والذي كان همّهم، أمّا جوانب التطوّر في هذه القواعد فلم يكن ليشغلهم كثيرا، وعلى هذا ما كان النحوي لينشغل بالتأصيل التاريخي قد يصل في بعضها إلى أصول اسمية وفعلية ذات اشتقاق.

إنّ هذا لا يعني أنّ قواعد اللغة تظل ثابتة كما تثبتها النحاة، أي دون تطور، فمثلا ترتيب قواعد باب من أبواب النحو لوجد أنه يتخذ ترتيبا معينا في فترة زمنية ما أو بيئة مكانية محددة، ولكن منظومته تتغير ولا تبقى ثابتة.

(1) إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، (مرجع سابق)، ص 28.

إنّ المنهج التاريخي معني بمتابعة المعايير اللغوية في حركتها الهادئة أو العنيفة في كل مرحلة زمنية وفي كل بيئة مكانية، وتحت تأثير أي عامل داخلي أو خارجي مع محاولة لتقديم الخطوط البيانية التي تمثّل التنقلات التي تعتري مواقع المعايير في الظاهرة اللغوية وتفسير ذلك تفسيرا مقنعا.

ولا شكّ أنّ عملا كهذا يتجاوز في أهميته مجرّد الرصد والحفظ إلى الأهمية التربوية التعليمية، فإيراد القواعد على ترتيب معيّن في زمن ما، لا يعني صلاح ذلك الترتيب تعليميا لزمن آخر، وهو بالتالي يعطي القدرة على مراقبة حركة اللغة، ومثال ذلك في أسلوب ما من نحو:

« **فإنّما يَبلُغَنَ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا**» أي: إنّ الشرطية + ما + الفعْل المؤكد، نجد له أمثلة كثيرة في القرآن الكريم، ولكننا لا نجد له أمثلة كثيرة في العصور اللاحقة، وقد كان أسلوب توالي الإضافات قليلا في عصر الاحتجاج اللغوي ثمّ كثر كثرة بالغة في زماننا، وذلك لأنّه يحل لنا مشكلة تتعلق بالتعبيرات المركبة من نحو: « **منظمة هيئة الأمم المتحدّة**» .

وانطلاقا من هذه التوضيحات حول الدراسة النحوية في المنهج المقارن يتضح لنا ن التغير النحوي هو أبطا التغيرات اللغوية وأصعبها وضوحا وملاحظة لان النظام النحوي للغة ما يرتبط بفكر المتكلمين بها.[1]

3- الدراسات الصرفية والمنهج التاريخي:

تعد قواعد النحو والصرف من أكثر المعايير اللغوية ميلا إلى الثبوت، أمّا المعاني والأساليب البلاغية فتتطوّر، وكذلك كثير من القوانين الصوتية ومخارج الحروف وعلى ذلك تمّ تقسيم المعايير اللغوية إلى قسمين: المعايير الثابتة أو الأقرب إلى الثبوت، والمتغيّرة.

إنّ معالم التطور في الصرف العربي لا تكاد تحصى، ولذلك كان الدرس الصرفي في حاجة ماسّة إلى أن يدرس في ضوء المنهج التاريخي بغرض التأصيل التاريخي ومراقبة مسيرة القواعد من حيث الشيوع والتواتر على مر العصور التي مرّت بها العربية.

وقد عني الدرس الصرفي لدى المستشرقين بدراسات تاريخية مهمة شملت كثيرا من جوانب التطوّر، وجاءت دراستهم في كثير من الأحيان مصحوبة بالمقارنة بين بنية الكلمة العربية وما يناظرها في اللغات السامية

(1) إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، (مرجع سابق)، ص 31-34.

الأخرى، وبحثوا ذلك في دراسات جزئية، أو ضمن كتب شاملة تعقد فيها الأبواب للأصوات ثمّ للكلمات ثمّ للجمل، وفي مبحث الكلمات يتحدثون عن الصيغ الصرفية والأوزان الفعلية، والاسمية ، والمصادر، والتأنيث والتذكير وما سوى ذلك من مباحث صرفية.

حيث يحدد الدارسون مزايا التغير الصرفي نذكر منها :

–أنه يصيب الكلمات لا الأصوات، ولكنه يرتبط بالقوانين الصوتية.

–على الرغم من كونه بطيئا لكنه بعيد المدى وكثير الوضوح .

ويقود التغير الصرفي إلى:

– زيادة تسهيل بعض الصيغ الصرفية أو هجرانها أو إبدالها بصيغ أخرى.

– تحول بعض الصيغ السماعية إلى قياسية، لكثرة الحاجة إليها، مثل المصادر الصناعية.

– استعمال بعض اللواحق الصرفية أكثر من سواها.

ومن أبرز اتجاهات التغير الصرفي القياس والسهولة والتيسير.[1]

*** المنهج المقارن.**

1– المقصود بالمنهج المقارن: يعدّ المنهج المقارن جزءا من المنهج التاريخي في دراسة اللغة وهو يتميّز عن المنهج التاريخي في عمومه بأنّه يركز على بحث الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة ويكون هدفه من ذلك التأصيل التاريخي.

وأدّلة المنهج المقارن كأدّلة المنهج التاريخي بعامّة ربما لا تكون قاطعة ولكنها تسمح ببناء تصوّر مقنع في كثير من الأحيان عن الأصل التاريخي لكثير من الظواهر.[2]

2– العربية في ضوء المنهج المقارن:

(1) عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 218.

(2) إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، (مرجع سابق)، ص 41.

توجد في العربية ظواهر كثيرة لا يحسن تفسيرها وتعليلها إلاّ المنهج المقارن، لأنه منهج يوسع من استقراء المادة اللغوية لتشمل اللغات السامية كلها، ممّا يتيح للباحث ذي المنهج المقارن نصوصا أشمل يقيس عليها ويستنبط منها، فيخرج بتعليلات لم يعرفها الباحث ذو المنهج المعياري أو غيره.

ويرى الباحث "رمضان عبد التواب " أنّ في الدراسات السامية المقارنة فوائد كثيرة جعلت المشرقين يتقدمون في دراستهم للغة العربية ووصلوا بها إلى أحكام لم يُسبقوا إليها لأنهم لا يدرسون العربية في داخل العربية وحدها بل يدرسونها في إطار اللغات السامية، وأنّ عدم الاعتناء بهذا المنهج ينشأ معه الوضوح في تفسير كثير من الحقائق في تاريخ العربية وقضاياها.

من سمات منهج البحث اللغوي، الدّقة والتنظيم والملاحظة والتجريب والموضوعية، إذ أنّ علم اللغة يحتاج إلى منهج يدرسها لذاتها ويصل إلى حقائقها ويصف قواعدها، وللغة مناهج كثيرة لدارسها تتعدد باختلاف مرجعيات اللغويين، وهذه المناهج تتداخل وتترابط ولا تفصل إلاّ لأغراض علمية.[1]

3- اللغويون القدماء والبحث المقارن:

لم تكن الدراسات المقارنة منهجا متبعا لدى العلماء القدامى، فإن حصلت المقارنة فهي عرضية عابرة كالإشارات المقارنة السريعة التي أشار إليها " **سيبويه** " و"**الفارسي** "، و" **ابن جني** " وغيرهم.

ولاشكّ أنّ القدماء كانوا يعلمون بوجود صلة وثيقة تجمع العربية بلغات أخرى كالعبرية والكنعانية، والسريانية، فقد أشار" **الخليل بن أحمد** " في كتابه "**العين**" إلى أنّ الكنعانيين كانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية.

وقد أشار بعض الباحثين المحدّثين إلى معرفة العلماء العرب القدامى بالصلة بين العربية وبعض اللغات السامية، ومن هؤلاء القدماء "**أبو عبيد القاسم بن سلام** " الذي قارن بين أداة التعريف في العربية والسريانية، و"**ابن حزم الأندلسي**" الذي أشار غلى الصلة بين العربية والسريانية والعبرية والحميرية، وغيرهم.

4- أهمية المنهج المقارن في الدراسات اللغوية العربية:

أوّلا: الدراسات المعجمية

(1) عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 240،239.

1 –المنهج المقارن وميّز اللفظ الأصيل من اللفظ الدخيل: فالمنهج المقارن يهتم برصد ما خالط العربية من جرّاء احتكاكها بلغات أخرى كالفارسية، والسريانية، والإغريقية، والتركية واللغات الأوربية المعاصرة وغيرها، وهو لذلك يهتم بوضع المعايير اللازمة لذلك من صوتية وصرفية ودلالية.

2 –المنهج المقارن ومستقبل الألفاظ الدخيلة:

استخدمت العربية منذ عصور ألفاظ دخيلة وفاء بحاجتها العصرية، فما انسجم من هذه الألفاظ مع الوزن العربي هضمته العربية، وما لم يخضع للوزن العربي ككثير من ألوان الأطعمة والملابس والزينة ... الخ التي أخ ذتها عن الفارسية، وعجبّ بها الكتب التي تعرّضت لمثل هذه الموضوعات " **كالبخلاء للجاحظ** "، و"**الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني**".

وعلى ذلك كان في وسع المرء من خلال المنهج المقارن أن يقرر أنّ كثيرا من الألفاظ التي تشيّع في الغربية الآن من أصل غير عربي وبخاصّة ما يخرج عن الوزن العربي، مثل: دبلوماسية، بيروقراطية، بيبلوغرافيا، ... لن يعمّر طويلا، أمّا الألفاظ التي من مثل: التلفزة، التلفنة، البسترة، فإنّ فرصتها في البقاء أوفر لأنها تأقلمت ، بل استطاعت بذلك أن تتكاثر بالاشتقاق كما تتكاثر الكلمات الغربية الأصلية، فيقال: تلفزَ، يتلفزُ، متلفز...الخ وقد حدث هذا من قبل في تاريخ العربية نحو: فلسف ويتفلسف ومتفلسف وفلاسفة، ومن ذلك الترعة وهي الباب أو فوّهة الجدول فقد اشتق منها: التّراع وهو البوّاب، وهي سريانية الأصل، وغير ذلك بكثير.[1]

ثانيا: الدراسات النحوية:

ثمّة أمور حملت أصحاب المنهج التاريخي المقارن على إعادة النظر في قواعد اللغة العربية ومعاييرها ومن ذلك ما يأتي:

- الرغبة في البحث عن مدى الصلة التي تربط اللغات السامية وتحدد موقع إصدارها من الأخرى، وتحدد موقع العربية من هذه اللغات. ولمّا كان النحو من الثوابت بالنسبة للمتغيرات اللغوية السريعة التي تعتني الجوانب البلاغية ومعاني المفردات، فقد كانت عناية هؤلاء بالمقارنات النحوية مسوّغة في سبيل البحث عن القواسم المشتركة التي تجمع اللغات السامية في إطار واحد من الأصل المشترك.
- البحث في مدى صحة النتائج التي توصل إليها المعياريون في تفسير الظواهر النحوية.

ثالثا: الدراسات الصرفية

(1) عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 64.

وضمّت الدراسات المقارنة كثيرا من الحقائق الصرفية نذكر من ذلك:

- كشفت لنا كثيرا من الأقيسة المهجورة، وهي في اللغات السامية متعدد ة الأشكال والأوزان ومن ذلك أن يزاد بالهاء في نحو: هراق بالهمزة في أراق، والزيادة بالهاء أقدم وتضاهيها في العبرية الزيادة بالهاء في صيغة **« هفعيل »** وكذلك الزيادة بالشين في نحو: شهذر، ... وغيرها.
- والزيادة بهدف الحروف جميعا أصبحت من باب القياس المهجور في العربية بيد أنّ الزيادة بهدف الحروف جميعا تعدّ قياسية سائرة في كثير من اللغات السامية.
- وقد ساعد المنهج المقارن كذلك على تبيّن كثير من الصيغ الصرفية التي تأثرت فيها العربية بغيرها ومن هذه الأوزان: فَعْلل، نحو: نرجِس، فاعل نحو: آجُر، وفاعيل نحو: هابيل، فقد كتبه القدماء إلى أنّ هذه الصيغ ليست أصلية في العربية.

وقد بيّنت الدراسات المقارنة الصيغ الصرفية التي اشتركت فيها العربية مع أخواتها، والصيغ التي انفردت بها عنها، ومن ذلك أنّ صيغة فَاعَلَ وتفاعل من الصيغ التي اشتركت فيها العربية والحبشية وانفردتا بهما، وقد زادت الحبشية على العربية في بعض الأوزان الفعلية، وزادت الأوزان الفعلية في العربية عنها في كل من الآرامية والعبرية، وتشابهت اللغات السامية في معاني كثيرة من الأوزان الاسمية والفعلية.[1]

*** المنهج الوصفي:**

شاع اتصال المنهج الوصفي في دراسة اللغة منذ أوائل القرن العشرين ولا يزال له صفاوة كبيرة في التنظير والتطبيق، حتى سمي علم اللغة بعلم اللغة الوصفي، بل قصر بعض المحدثين علم اللغة على هذا المنهج.
ولأهميته في البحث اللغوي، أعّد نقله في الدراسات اللغوية بين القرنين التاسع عشر والعشرين، فنهض نهضة سريعة في إقبال المناهج اللغوية الأخرى حتى صار أهم المناهج في الغرب.

1. المقصود منه:

(1) عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 72.

دراسة اللغة بتحديد المستوى اللغوي المدروس ولا يخلط بين المستويات اللغوية، كما يتناول المستوى اللغوي الواحد بالدراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية.[1]

2–الصلة بين المنهج الوصفي والمناهج الأخرى:

لا يمكننا أن تظن أنّ البحث اللغوي كان لا يعمد إلى الوصف قبل القرن العشرين كمالا، ذلك أنّ المجتمع التاريخي سواه من مناهج البحث اللغوي في أي فترة من تاريخ البحث اللغوي، يمكن له أن يستغني عن وصف الظاهرة اللغوية قبل تحليلها أو تفسيرها أو دراستها دراسة معيارية أو تاريخية أو تاريخية مقارنة، وممّا لاشكّ فيه أنّ ثمّة اتجاها وصفيا متميّزا عن الاتجاهات السابقة، أخد يطبّق خطواته على اللغة، متجاوز في ذلك المبادئ الوصفية التي لا يستغني عنها أي منهج لغوي يمكن أن يتصدى لبحث الظاهرة اللغوية، إنّ هذا هو ما نعنيه بالمنهج الوصفي.

3–مميزات المنهج الوصفي ومفارقاته للمناهج الأخرى:

لعّل من أبرز ما يميّز هذا المنهج ما يأتي:

1 –الاهتمام باللغات الحية والعزوف عن دراسة اللغات القديمة.

2 –الاهتمام بالنحو التعليمي.

3 –الاهتمام باللهجات المحكيّة.

4 –الاهتمام بالدراسات الإحصائية.

لا يمكن أن نتصوّر أنّ البحث اللغوي لم يكن يعهد إلى الوصف قبل هاته الفترة، أي(القرن 20)، لأنه لا يمكن الاستغناء عن وصف أي ظاهرة قبل المباشرة في تحليلها وتفسيرها أو دراستها دراسة معيارية أو تاريخية لأنه من غير الممكن الاستغناء عنه في أي منهج من المناهج اللغوية.

*** المنهج الإحصائي:**

لاشك في أهمية الجهود الإحصائية التي تبدل في سبيل حصر مفردات اللغة أو صيغها، أو تراكيبها، وقد عكف الباحثون الغربيون على خدمة لغاتهم عن طريق الإحصاء. فعاد ذلك على لغاتهم بالفوائد العديدة وبخاصّة في المجال التعليمي.

ولعّل من أظهر فوائد الإحصاء اللغوي ما يأتي:[1]

(1) إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، (مرجع سابق)، ص 197.

1 -**على الصعيد المعجمي**: لم يعد التأليف المعجمي عملا مرتجلا يقوم على الإجتهاد الشخصي في إختيار الكلمات التي تقدمها الموسوعة اللغوية للقارئ. فقد أصبح في ميسور الباحث المعجمي أن ينتقي مادته وفقا لخطته التي يرمي إليها، فإنّ أراد من معجمه أن يقدّم أيسر الألفاظ تناولا في اللغة وأكثرها شيوعا تخيّر لذلك من خلال ما تسفر عنه القوائم الإحصائية لأكثر الألفاظ شيوعا ما يفي بحاجته، وقد تيسر لأصحاب المعاجم أن يصنفوا معاجمهم فبعضها عام، وبعضها متخصص. وما تزال العربية في حاجة ماسّة إلى مجالات المعجم المتعددة.

2 -**على الصعيد التعليمي**: لقد تبيّن أنّ الفروق واسعة بين إجتهادات المربين في إختيار الألفاظ والتراكيب، وأنّ كثيرا من الكتب التعليمية التي أعدّت لتعليم الناطقين بالعربية ما يزال قائما على الإجتهاد الشخصي في إختيار ما ينبغي أن يقدّم للطالب سواء أكان ذلك في مجال المفردات أم في مجال التراكيب.[2]

إنّ كتب النحو القديمة لا تحفل بالجانب التعليمي بمقدار ما تحفل بالجانب التأصيلي للغة، وحتى ما أعدّ منها إعدادا تعليميا فإنّ الإمكانيات الإحصائية والمناهج الإحصائية لم تكن متوفرة لديهم.

إنّ المجال مفتوح لأن تتوجه الجهود لخدمة العربية في مجالات تعليم اللغة من حيث الوقوف على أشهر الأوزان الصرفية، والتراكيب النحوية والمعاني البلاغية، ومراقبة التطوّر اللغوي من خلال العمل الإحصائي، وتقديم العربية للأجيال بحسب الأصول العلمية السليمة.

3 -**على الصعيد الثقافي**: لقد إستطاع الباحثون الغربيون عن طريق الجهود الإحصائية أن يعيد وصياغة كثير من الأعمال الأدبية الكبيرة وقد أملى ذلك عليهم أمران:

- إنّ بعض هذه الأعمال قد تقادم العهد عليه كروايات شكسبير مثلا، فلم يعد في ميسور الناس في هذا العصر أن يفهموا بيسر ما كتبته أقلام الناس قبل قرون.
- وقد أسعفتهم الأعمال الإحصائية في معرفة المستوى اللغوي الذي يتناسب مع هذه الفئة من الناس وفقا لاختلاف السن، أو الثقافة أو المهنة أو البيئة ...

إنّ كثيرا من الكتب العلمية والثقافية، التراثية والمعاصرة المحلية والمترجمة تحتاج منّا إلى أن يعرف كيف نقدّمها للناس بما يتناسب ومستوياتهم اللغوية والثقافية.

---

(1) إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، (مرجع سابق)، ص 126.

(2) عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا، (مرجع سابق)،ص 127.

4 -على الصعيد التاريخي:

الظاهرة اللغوية كأي ظاهرة اجتماعية تلاقي ما يلاقيه الفرد في المجتمع، فقد تزدهر وقد تموت، وربما تزدهر في بيئة وظروف معينة وفي الوقت نفسه تضمحل في ظروف أخرى وكثيرا ما تساير الظاهرة اللغوية الواقع الذي تحل فيه كأن تكتسب اللفظة معنى دلاليا لا يسلخها من ماضيها ولكنه يربطها لحاضرها.

أمّا قيمة الأعمال الإحصائية فهي تقف بنا على واقع اللغة في مرحلة ما، فإذا ما تغيّرت الظروف اللغوية زمانا أو مكانا ، كان لزاما أن تقوم بأعمال إحصائية أخرى مناظرة، وبعدئذ كان علينا أن توازن بين صورة الماضي وصورة الحاضر لتعرف ما قد طرأ على أساليب اللغة وتراكيبها ودلالة ألفاظها.[1]

ثالثا: آثار الإستشراق.

لا يخفى على أحد جهود المستشرقين في شتى المجالات العلمية والدينية والسياسية في الشرق، واهتمامهم الأدبي باللّغة العربية بوجه خاص، فهؤلاء المستشرقون قاموا بجمع عدد كبير من المخطوطات العربية ونشروها بطريقة علمية ووضعوا النصوص الأصلية بين أيدي الدارسين والمحققين العرب، ولابدّ أن تكون لتلك الجهود آثار سلبية وإيجابية نذكر منها:

1- الآثار الإيجابية:

- نشرهم مئات الكتب والمخطوطات الثمينة التي أتاحت لنا الإطلاع على تراث أسلافنا الخصيب.
- إدخالهم المعايير الأدبية الأوروبية والمقاييس العصرية الصحيحة عند دراستهم لثقافتنا وأدبنا.
- اكتشافاتهم الحجرية وحلّهم للكتابات الأثرية التي ساعدت على تصحيح بعض الروايات التاريخية والأحكام الأدبية وغير الأدبية.

والدكتور " عبده عبود " من الكتّاب الجدد الذي ذكرني كتابه الأدب المقارن، مشكلات وآفاق الآثار الإيجابية للإستشراق والمستشرقين الذين يعدّهم أصدقاء العرب، ممّا خلفوا من نشر وكتب، وبسّطوا اللّغة العربية إلى مختلف أرجاء العالم.[2]

(1) عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسة المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 130.

(1) حسن دادهخواه وفاطمة سعدوني: بحوث في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنوية لقسم اللّغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان، 2012 .

ومن الآثار الإيجابية لظاهرة الإستشراق هي التعريف بالمخطوطات الثمينة، ونشرها وطبعها بطريقة علمية، وبسط نطاق اللّغة العربية في كل أنحاء العالم، بحيث نحن اليوم لا نجد لغة في العالم إلاّ وقد ترجم الكثير من معارف العلوم العربية والدين المبين الإسلامي إليها، لأنّ لكل شيء طريق للتعرف عليه، وبالتأكيد طريق التعرّف على الإسلام هو معرفة اللّغة العربية، يقول جرجي زيدان في كتابه " تاريخ اللّغة العربية وآدابها ": " من العوامل الرئيسية في إحياء اللّغة العربية في هذه النهضة، اشتراك الإفرنج في تحقيق آثارها، ونشر هذه الآثار والتنقيب عن تلك الكتب والآثار في مظانّها، وليس اهتمام الإفرنج بالآداب العربية حديثا، يرجع إلى الأجيال الوسطى قبل نهضتهم الأخيرة لإنشاء تمدنهم الحديث، ويقسّم عملهم في هذا السبيل إلى دورتين: الأوّل ' انشغالهم بنقل العلوم الطبيعية والرياضية في أوّل نهضتهم، والثاني ' انشغالهم باللّغات الشرقية وآدابها "

-إعداد دراسات عن الحضارة القديمة.

-تجميع المخطوطات العربية بالمكتبات الأوروبية.

-وضع فهارس المخطوطات.

-نشر كثير من الكتب النفيسة وترجمة البعض منها إلى اللّغة الأوروبية.

-إعطاء دروس في المنهجية لعلماء الشرقيين.

-تنظيم مؤتمرات عن الإستشراق.

-كتابة دراسات في موضوعات شتى، وهي لو كانت مغلوطة من حيث الفهم اللغوي والتأويلات الدينية إلاّ أنّها قوية بمنهجها.

-الإسهام في خلق وعي قومي بمختلف أقطار الشرق وتنشيط النهضة العلمية.

2- الآثار السلبية:

ا-التشكيك في أصالة الأدب العربي: أوّل ما ظهر من آثار سلبية للإستشراق على الأدب العربي، قد يكون في بداية القرن الثامن عشر، ففي تلك الفترة كانت الأهداف الاستعمارية للإستشراق غالبة على بحوثهم[1]، ولهذا اندفع عدد كبير من المستشرقين الأوائل لمعرفة الأدب العربي، ومعرفة لغات الشرق ونشرها، وإصدار المخطوطات، وانتشار الكتب وترجمة القرآن والكتب العربية الأخرى. وأوّل موقف عدائي ظهر على لسان هؤلاء هو التشكيك في مصادر الأدب العربي كالشعر الجاهلي والشعراء

(1) المرجع نفسه، ص47.

الجاهليين. فهم أنكروا أنّ الشعر الجاهلي في تاريخ الأدب العربي حقبة خاصّة من الزمن وقد تكون تقريبا بمائة سنة قبل ظهور الإسلام- وقالوا أنّ القصائد المسّماة بالمعلقات لم تكن صادرة من شعراء قبل ظهور الإسلام مثل " **امرئ القيس** " أو شاعر آخر من أصحاب المعلقات كما نعرفهم، بل هو من أشعار الرواة أنفسهم، وعلى رأسهم " **حمّاد الرواية** " و "**خلف الأحمر**" فإنّهم كانوا يصنعون الشعر وينسبونه إلى رجال في الجاهلية وصدر الإسلام، وكانوا ينحلون شعر الرجل غيره، أو ينحلون الرجل غير شعره، ويزيدون في الأشعار من عندهم.

ومن المستشرقين الذين طرحوا هذه الفكرة، وحاولوا أن يثبتوها وينقلوها إلى علماء العرب وأدبائهم يمكن أن نذكر "**مرجليوت**" و "**نولدكه**" و "**تشارزليال**" و "**جولد تسيهر** " وغيرهم، فإنّهم خلفوا ورائهم آثار كثيرة في هذا المجال.(1)

الدكتور" **طه حسين**" الذي قيل عنه: "**إنّه مستشرق من أصل عربي**" وقام الكثير من الأدباء العرب بنقد هؤلاء، وقام عدد آخر بدعمهم، وطبعا هؤلاء قلّة.

ومن الذين دعموا هذه الفكرة وجمعوا آراء هؤلاء المستشرقين القدماء وترجموها إلى اللّغة العربية هو **الدكتور** "**عبد الرحمان بدوي**" في كتابه الذي سمّاه "**دراسات المستشرقين حول صحّة الشعر الجاهلي**" فيقول الدكتور بدوي في مقدمة كتابه عن آراء إبن سلاّم الجمحى حول انتحال الشعر الجاهلي في كتابه طبقات الشعراء:

" أنّه استطاع هو وغيره من علماء اللّغة والأدب والنقد الفيلولوجي السليم للشعر الجاهلي، وانّه استخدم في ذلك منهجا علميا ممتازا توصّل بواسطته إلى النتائج العلمية التالية:

1 -أنّ ما ينسب إلى عاد وثمود وما سبق قحطان وما أورده إبن إسحاق كله متحول مزيف.

2 -أنّ ما ينسب إلى حمير وجنوب اليمن من أشعار باللّغة القريشية كله متحوّل مزيف: لأنّ لسان حمير وأقاصي اليمن" ليس هو اللسان العربي المعروف، ولا عربيتهم بالعربية التي ورد بها الشعر الجاهلي كما لاحظ أبو عمرو بن العلاء.

ب- التشكيك في أصالة النحو العربي:

(1) حسن دادهخواه وفاطمة سعدوني: بحوث في اللّغة العربية وآدابها، (مرجع سابق)، ص 48.

تشّكك بعض المستشرقين في أصالة الأدب العربي وبوجه خاص النمو العربي، وقالوا بأن جذور هذا العالم العلم ترجع إلى اللغة اليونانية والسريانية، وإنّما أخده العرب من اليونان والرومان خلال ترجمة الآثار اليونانية. وزعموا أنّ ارتباطا علميا وفكريا كان دائرا بين علماء النحو العربي: خليل بن أحمد وأبي الأسود الدؤلي من جهة أخرى، والقصد من خلق هذه الشبهة أفكار حضارة الإسلام والعرب، وبقاء الحضارة اليونانية كحضارة أولى في العالم.

ومن جملة هؤلاء المستشرقين الذين طوّروا هذه الفكرة ووسعوها هم: " إرنست رينان" "ميركس وهوفمان وورستك"

أمّا "تروبو"- المستشرق الهولندي- فهو الذي ردّ هذه النظرية، واستند على أدّلة تاريخية منها:

أوّلا: إنّ حركة الترجمة بدأت في العصر العباسي الثاني، وعلم النحو كان قد بدأ قبل سنين، وثانيا: علماء النحو كانوا على صلة دائمة مع الفقهاء، ولهذا نجد أكثر المصطلحات الفقهية موجودة في النحو مثل: بدل، عرض، نيّة، جعّة، حسن، قبيح وغيرها.

و"نيكلسون" الذي يعدّ من كبار المستشرقين اعترف بأنّ علم النحو وضعت بداياته في العصر الإسلامي بالفكرة الأمام علي وعلى يد أبي الأسود الدؤلي.

ج- التشكيك في قدرة اللغة العربية على تعاملها مع العلوم الحديثة:

لم ينحصر هجوم المستشرقين على اللغة العربية من خلال إثارة الشبهات حول أصالة في التاريخ القديم والعصور العربية المختلفة، بل استمر ليطال العربية الحديثة، حيث اتهموه بأنها لغة عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر الحديث، وغير القادرة على مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي، ووصل الأمر ببعضهم إلى اعتبار اللغة العربية بأنّها لغة ميّتة، مثلها مثل اللغة اللاتينية بالنسبة للغات الأوربية الحديثة.[1]

ومن أدباء العرب المعاصرين الذين أيّدوا هذه الفكرة ودعموها "صدق جلال العظم" مؤلف كتاب نقد الفكر الديني، وعبد العزيز فهمي الذي دعا إلى تحل الأحرف اللاتينية محل الحروف العربية، ومعنى هذا قطع صلة العرب بجميع كتبهم المكتوبة بالحروف العربية.

وفي الواقع هذا ما طرحه المستشرق " **لويس ماسنيون**" في البداية، الذي زعم أنّ ذلك ضرورة للتعايش والتساير مع الحضارة الغربية أو الحداثة.

(1) حسن دادهخواه وفاطمة سعدوني: بحوث في اللّغة العربية وآدابها، (مرجع سابق)، ص 49.

وقام بعض من هؤلاء بالاستهزاء وتنفير الشباب من اللغة العربية، لأنها صعبة الفهم والكتابة من حيث قواعدها النحوية والبلاغية، وأخذوا يحثّون أبناء الشعب العربي إلى التمسك باللهجة العامية.

ربما تجاهل هؤلاء أنّ اللّغة العربية هي لغة القرآن ولغة التراث هي الفكر الإسلامي الذي يتكلم بها أكثر من ثلاثمائة مليون مسلم ولا يمكن التخلي عنها بسهولة.

د- ضياع عدد هائل من المخطوطات إثر انتقالها إلى الغرب:

من الآثار السلبية في الأدب العربي ضياع عدد لا يستهان به من المخطوطات العربية في مجال الشعر والتاريخ والأدب وكذلك كتب الرحلات وأمثالها خلال نقلها من مكتبات المراكز العلمية في الدول العربية، ولم ترجع بعد إلى هذه المكتبات. كان المستشرقون بدعم من حكوماتهم التي توفر لهم إمكانيات خروج هذه المخطوطات يعملون بجد في هذا المجال، حتى تمكنوا من إخراج الآلاف من هذه النسخ، ومع الأسف ضاع عدد هائل من المخطوطات خلال الحربين العالميتين، وفي بعض الأحيان كانت النسخ الضائعة هي نسخ فريدة عديمة النظير، وأضّر هذا بالتراث العلمي الإسلامي والأدبي أشّد الإصرار.[1]

(1) المرجع نفسه، ص 50.

لقد ولدت معجماتنا اللغوية صغيرة في شكل رسائل متفرقة غير منظمة، ثمّ نمت شيئا فشيئا وتوسعت وتكاملت جيلا بعد جيل، بجهود العلماء ودأبهم المستمر وسهرهم الدائم، يستفيد اللاحق من السابق ويضيف إليه شيئا من عمله، وبذلك اتسع حجم التأليف المعجمي، وتكاملت عناصره تنظيما وإبداعا بهذا العمل العلمي المتلاحق،[1] وهكذا استمرت الصناعة المعجمية العربية على مرّ العصور، حتى إذا ما طلّ علينا العصر الحديث، وجدنا المحدثين ينحون منحى جديدا اتجاه العمل المعجمي، فقدموا دراسات معجمية متنوعة؛ اختصارا للمعاجم العربية القديمة أو لبعضها، أو لجُوءا إلى مبدأ الانتقاء والاقتصار على الألفاظ الوظيفية التي تستخدم في هذا العصر من باب التيسير، أو دراسة لألفاظها ومفرداتها أو الاقتصار على جزئية معينة، كدراسة أصولها أو المعرّب منها أو الدخيل فيها، أو تتبع تاريخ الألفاظ ومراحل تطورها، والتي يُعنى بها المعجم التاريخي، هذا الأخير هو محور دراستنا في هذا الفصل الذي تناولنا فيه ثلاث مباحث؛ تحدثنا في المبحث الأول عن المعجمية العربية الحديثة، يندرج تحتها: (مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية، فكرته، دوافعه، أهدافه ومراحله)، أمّا في المبحث الثاني فكان حديثنا عن الدور الذي أسهم به المستشرق الألماني **"أوجست فيشر"** في صناعة المعجم التاريخي العربي، عارضين لذلك أهم الأسس والآراء التي تبناها أثناء محاولته وضع معجم تاريخي للغة العربية، أمّا المبحث الثالث فقد خصص لعرض بعض المحاولات التي قام بها بعض الباحثين العرب والمؤسسات العلمية والمعاجم اللغوية في سبيل إنجاز المعجم التاريخي.

المبحث الأوّل: المعجمية العربية الحديثة

من حق المعجمية العربية الحديثة كغيرها من الفنون اللغوية العربية كالنثر والشعر والرواية إعادة النظر في شأنها نظرة تختلف عمّا قيل عنها منذ القدم إلى اليوم، استجابة لحاجة اللغة العربية إلى معجم تاريخي يبحث في تطوُّر مفرداتها باعتبارها إحدى اللغات العالمية التي استخدمتها شعوب مختلفة الأعراق والثقافات، إذ ليس معقولا أن تظل اللغة العربية دون معجم يُوثق ألفاظها ودلالة هذه الألفاظ والتحولات التي طرأت عليها طوال حياتها، وأن تظل متأخرة عن نظيرتها من اللغات العالمية* في هذا المجال، وهي اللغة التي لا تكاد تُناظرها لغة أخرى في امتدادها الزماني، واتساعها الجغرافي،

(1) عبد اللطيف الصوفي: اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1986، ص 34.

وموروثها الحضاري[1] وفي هذا السياق طرح "**مجمع اللغة العربية المصري**" فكرة وضع "**معجم تاريخي للغة العربية**" له منهجه الخاص متبعا مراحل ثابتة تختلف عن المناهج العربية القديمة والتي سارت على نمط واحد في التعريف بالمادّة اللغوية من مثل: **العين، لسان العرب، الصحاح، أساس البلاغة**، وغيرها.

أوّلا: فكرة المعجم العربي التاريخي

قبل الخوض في الحديث عن المعجم التاريخي للغة العربية، وكيف جاءت فكرة وضعه نطرح في البداية التساؤل التالي: ما هو المعجم التاريخي للغة العربية؟ وأين تكمن وظيفته؟ وهو ما نبيّنه في العنصر التالي:

1- مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية: يعرّف بأنه "المعجم الذي يرصد دلالة ألفاظ اللغة العربية في حياتها، فهو الذي يتضمن ذاكرة كل لفظ من ألفاظ اللغة العربية، وهي تُسّجل تاريخ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخ تحولاته الدلالية، ومكان ظهوره ومستعمليه في تطوّراته ما أمكن ذلك، مع توثيق تلك الذاكرة بالنصوص التي تشهد على صحّة المعلومات الواردة فيها (...) إذ ليس المقصود بهذا المعجم وضع موسوعة لغوية تُوغل في سرد المعلومات النّحوية والبلاغية الصّرفية وغيرها"[2] من خلال هذا التعريف يتضّح لنا وجه الشبه بين المعجم التاريخي للغة العربية وبين الذاكرة، لأنّ الذاكرة بإمكانها أن تستوعب مختلف التواريخ والأحداث التي وقعت في الماضي وبالتالي إمكانية استرجاعها، كذلك يفعل المعجم التاريخي من خلال رصده لألفاظ اللغة العربية وتتبع تطوراتها عبر التاريخ، ومن ثمّة المحافظة عليها بتدوينها في معجم يكون بمثابة ذاكرة لهذه الألفاظ حتى يتسنى لنا العودة إليها متى احتجنا إلى ذلك.

كما أنّ المعجم التاريخي معجم يُؤلف من أجل التاريخ لظهور الوحدات المعجمية في اللغة وتتبع تكوّن معانيها في الاستعمال، وهو بذلك لا يقوم مقام المعاجم العامّة أو المعاجم المختصة في تقديم المعلومات، حيث أنّ تعريف كلمة مثل: " **أسد** " في المعجم التاريخي لا يحتاج فيه مُؤلفه إلى ذكر

* اللغات العالمية حسب تصنيف الأمم المتحدة هي: الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإسبانية، الروسية.

(1) ينظر. محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي- قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1986، ص 39.

(2) بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخ اللغة العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2014، ص 22.

طائفة الأسد ورتبة وفصيلة وجنسه ونوعه (...)، أو غير ذلك من المعلومات التي يُعنى بها واضع المعجم العام أو المختص.[1]

وبالتالي فإنّ وظيفة المعجم اللغوي التاريخي تكمن في الإحاطة بالثروة اللفظية للغة العربية دون استثناء، والتأريخ لها عبر سياقاتها في مختلف العصور، دون إغفال لا الغريب ولا المعرّب ولا المولّد ولا الدخيل، لأنّ كل مفردة أو كلمة تُدووّلت واستخدمت كانت استجابة لضرورة عبّرة عن وجود حاجة إليها في غياب ما يعوّضها[2] وهذا ما يعكس حاجة اللغة العربية إلى معجم تاريخي يكون من مهامه ضبط كل كلمة تَمّ تداولها بغض النظر عن نوعها هل هي غريبة أو معربة أو دخيلة،...الخ.

وللمعجم التاريخي عدّة مزايا نذكر منها:

- مصادره هي مواد مدوّنة في الكتب والوثائق، وربما النقوش، فهو يحتوي على كلمات ميّتة أو نادرة.

- تُرتب فيه معاني الكلمات مصحوبة بشواهد بطريقة تُراعي تطوّر المعاني.

- تقديم معلومات عن بعض الصيغ التي لها سياقات نحوية تنفرد بها.

- يتجنب هذا المعجم الوصف والتعليل، ويلتزم العرض التاريخي.[3]

لقد نال الجانب المعجمي للغة العربية قديما وحديثا عناية قصوى، فقديما أحسّ علماء اللغة بأهمية هذا الجانب في تطوير اللغة العربية وإحيائها والمحافظة عليها، حيث برزت المعاجم الأولى بأنواع عدّة تخصّص بعضها في الألفاظ وبعضها الآخر في المعاني، ومن أهمها نجد:

أ- معاجم الألفاظ: ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: معجم "**العين**" للفراهيدي، معجم "**الصحاح**" للجوهري، معجم "**لسان العرب**" لابن منظور، معجم "**أساس البلاغة**" للزمخشري، وغيرها.[4]

(2) ينظر- محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية- وثائق ونماذج، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة- الإسكندرية، ط1، 2008، ص 229.

(2) ينظر- عبد الغني أبو العزم: المعجم اللغوي التاريخي- منهجه ومصادره، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، د.ط، 2006، ص 24.

(1) عبد الحسن عباس حسن الجمل الزوبني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان- العربية، أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 229.

(4) عبد الناصر بوعلي: تطور اللغة العربية،مجلة اللغة العربية، العدد الثاني، العشرون، جامعة تلمسان، 2009، ص 63.

حيث اعتنى أصحاب هذه المعاجم بجمع اللغة العربية واستيعابها بالضبط والتوثيق من صحة المعنى معتمدين في ذلك عدّة طرق في الشرح والترتيب.

ب– معاجم المعاني: ونذكر منها مثلا: **"المخصّص"** لابن سيده، **"الغريب المصنّف"** لابن سلام الهروي، **"كتاب الألفاظ"** لابن السكيت، **"الألفاظ الكتابية"** للهمداني، كما نجد أيضا كتب في خلق الإنسان والإبل والخيل، وغيرها.[1]

أمّا حديثا وعلى الرغم من هذا التراث المعجمي الضّخم الذي خلّفه علماؤنا القدامى إلّا أنّ أغلب اللغويين المحدثين عرب وغربيين لم يكتفوا بهذه المعاجم لأنها في نظرهم لا تُلبي متطلبات العصر الحديث، ومع ما تحمله – المعاجم – من قيمة علمية يشهد لها العلماء والباحثون فإنها لم تُدوّن جميع ما ورد من كلام العرب، فأين المعاجم من هذا التراث الضّخم الذي تملكه العربية من كتب في الأدب والتاريخ والفلسفة والفقه ودواوين الشعر، فالعربية مازالت بحاجة ماسة إلى المزيد من المعاجم. [2] وذلك لما تُعانيه اليوم من قصور في هذا الجانب – المعجمي – مقارنة باللغات العالمية الأخرى، ولعّل أهم هذا القصور هو «غياب معجم تاريخي للغة العربية، الأمر الذي يمكن إنجازه بسّد ثغرة هذا الغياب، ومواكبة تطور اللغة العربية، علاوة على استيعاب ألفاظ هذه اللغة في مدّونة لغوية واحدة» [3] وبالتالي فإنّ معالجة هذا القصور بإنجاز هذا المعجم، سيساهم في الارتقاء باللغة العربية إلى مصاف تلك اللغات العالمية والتي "تمتلك معاجم تاريخية متجددة، **كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية، ...الخ"**

وهي بذلك تُمثّل قمّة النضج اللغوي في الصناعة المعجمية سواء على مستوى المنهج أو الأسس المتبعة

واستجابة لتطورات البحث ومستجدات العمل المعجمي، جاءت محاولات لبعض اللغويين العرب والغربيين والتي كانت لها أبعد الأثر في تطوير المعجم الحديث وتجديده، حيث نجد من الغربيين المستشرق البريطاني **"لاين lane "** الذي يعتبر أوّل من اهتم بقضية المعجمية العربية في العصر الحديث وكان ذلك إبتداءا من سنة 1849م فقد وصف وصفا مقتضبا أهم المعاجم العربية مبيّنا مميزاتها، كما إعتنى **"زيترستين Zetterstein "** بمخطوطه **"التهديب للأزهري"**، في حين اهتم كل من **"برانليش Braunlich "** و**"كرانكو Krenkow "** بكتاب **"العين للخليل بن أحمد الفراهيدي"**، وقد ركّز **"كرمر Kreamer "** اهتمامه على تاريخ المعاجم

(1) ينظر– أحمد عبد الله الباتلي: المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1992، ص 70–82.

(2) ينظر– عبد الناصر بوعلي:تطور اللغة العربية،مجلة اللغة العربية، (مرجع سابق)، ص63 .

(3) بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص14، بتصرف.

ونبّه إلى وجوب الاهتمام بالنصوص الأدبية والنحوية لاستقصاء مناهج المعاجم العربية ومتونها، إضافة إلى كل من "**هايوود Haywood** " و"**مارسي Marcais** " اللذين اهتما بالتأريخ لمختلف المدارس المعجمية العربية.[1]

ولا يفوتنا ذكر المستشرق الألماني "**أوجست فيشر**" وما أسهم به في الصناعة المعجمية العربية الحديثة من خلال محاولاته لإخراج معجم تاريخي للغة العربية.

أمّا عن اللغويين العرب فكان منهم على سبيل المثال لا الحصر "**بطرس البستاني**" الذي أخرج عام 1869م معجما جديدا أسماه "**محيط المحيط**" وتوالت المعاجم العربية بعد ذلك إلى سنة 1890م حيث وضع العلامة "**سعيد الخوري الشرتوني**" معجما في جزأين أسماه "**أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد**"، وفي سنة 1908م أخرج الأب "**لويس معلوف**" معجما مدرسيا باسم "**المنجد**"، وفي سنة 1930م طُبع في بيروت معجم ألفه "**عبد الله البستاني**" اختصر في مجلد واحد وأطلق عليه اسم "**فاكهة البستان**" وهناك معجم "**أحمد رضا**" الذي يعتبر أفضل معاجم "**متن اللغة**" التي ألفت في العصر الحديث.

لكن معظم هذه المعاجم التي وُضعت حتى منتصف القرن العشرين ظلت في الحقيقة عاجزة عن مسايرة النهضة العربية، وقاصرة عن متابعة التطوّر الكبير في مختلف العلوم العصرية، ممّا حرّك في العرب الحاجة إلى معجم حديث يضاهي المعاجم المعروفة في الدول المتقدمة، [2] وكان ذلك مبكرا عند إنشاء "**مجمع اللغة العربية بالقاهرة**" يوم 13 ديسمبر 1932م، والذي نصّ مرسوم إنشائه على أنّ من أغراض المجمع: «أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها »[3] يؤكد هذا المرسوم على أهمية المعجم التاريخي بالنسبة لمجمع اللغة العربية إذ يُعد أهم هدف تسعى هيئة المجمع إلى تحقيقه، ويعكس ذلك اهتمامها بنشر مختلف البحوث التي تتناول تاريخ تغير دلالة الكلمات وكذا تشجيع الباحثين على دراسة تاريخ اللغة العربية.

(1) ينظر- محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا العجم العربي- قديما وحديثا، (مرجع سابق)، ص41-43، بتصرف.

(1) ينظر- حكمة كشلي فواز: القاموس المحيط للفيروز أبادي- دراسة وتحليل ونقد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1996، ص 87،88.

(2) إبراهيم الترزي: التراث المعجمي في خمسة وسبعين عاما، أعده وراجع تجارته: سمير صادق شعلان، جمال عبد الحي أحمد، خالد محمد مصطفى، مجمع اللغة العربية، مصر، د.ط، 2007، ص3.

وفي حديثنا عن المجمع لا يمكننا إغفال رأي أحد أعضائه فيه وهو **"محمد رشاد الحمزاوي"** الذي قال: «كان مجمع اللغة العربية مشروعا دينيا، وبرنامجا سياسيا، وأمنية ثقافية وحضارية، فيها من الآمال ما لا يسعها مجمع واحد مثل مجمعنا »[1]، أي أنّ المجمع المصري لم يكن هيئة ذات بُعد لغوي فقط بل كانت له أبعاد دينية وثقافية وسياسية وحضارية، يسعى المجمع لتحقيقها عن طريق وضع لجان مختصة بكل فرع.

ومعنى أن يكون المعجم تاريخي يُحتم أن تُجمع جميع المفردات المستعملة في الكتب والدواوين والمعاجم، منذ أوّل نشأتها إلى اليوم، «فلا مفرّ إذن من وضع هذا المعجم على القواعد التي إنتحاها الإنجليز في وضع معجماتهم وأخذها عنهم الفرنسيون والألمان »[2]، حيث يمكن لواضعي المعجم التاريخي للغة العربية الإطلاع على التجارب الأجنبية الناجحة والنظر في القواعد وربما الأسس التي اعتمدها أصحاب هذه المعاجم واستقصاء طريقة وضعها، منها مثلا: **معجم أكسفورد** الإنجليزي.

وفي سياق الحديث عن الحفاظ على فصاحة اللغة العربية جاء في كتاب **"محمد حسن عبد العزيز"** بعنوان **"المعجم التاريخي للغة العربية"** قوله: «أمّا إذا أُريد وضع معجم تاريخي للغة العربية يجمع شتّان ألفاظها وأساليبها واستعمالاتها منذ الجاهلية إلى الآن، فلاشكّ أنّ ما استعمل في عصور الفصاحة سوف يختلط بما استعمله المولدون، هذا الأخير بدوره سوف يختلط بما استعمله المحدثون » ، لذلك كان لابدّ من دراسة هذه الألفاظ حسب استعمالها في كل عصر، وبالتالي تحديد خصائص هذه الألفاظ وكيفية تطوّرها وانتقالها من عصر لآخر وبيان اللفظ الفصيح من المولّد من المحدث.

وحقيقة يمكن القول «أنّ المعاجم اللغوية التاريخية خلق وابتكار جديد، جدير بكل أمّة تحترم ذاتها وتحاول نشر ثقافتها اللغوية أن تنتحله وأن تنفق في سبيله غاية ما تستطيع من جهد ومال، وذلك بأنّ معجما لغويا تاريخيا إنّما يكون بمثابة ديوان شامل للغة يجمع إلى مفرداتها أساليب الاستعمال فيها والمعاني التي انتقلت فيها المفردات على مرّ السنين وتتالي الأجيال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وضروب ما أصاب المجاز من تحوير في المعنى والاستعمال »[3] يتضح لنا من هذا القول أنه من واجب كل أمة تعتز بلغتها وتحاول إثبات وجودها

(3) محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1988، ص15.
(2) محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية- وثائق ونماذج، (مرجع سابق)، ص 99.
(3) المرجع نفسه،ص88،99.

الثقافي بين نظيراتها من الأمم الأخرى، أن تعمل قدر ما تستطيع على إخراج معجم لغوي تاريخي يكون بمثابة ديوان شامل لألفاظها ومفرداتها، وذلك بغض النظر عما تنفقه في سبيل ذلك، لأنّ معجما كهذا لا شكّ أنّ تأثيره سيبقى على مرّ السنين، وسوف يتناقل جيلا بعد جيل.

ثانيا: دوافع تأليف المعجم العربي التاريخي

على الرغم من ضخامة المجهود المعجمي العربي، فإنّ الأمّة العربية ما تزال في أمّس الحاجة إلى بناء (ذاكرة) للغتها، ترصد ألفاظها لفظا لفظا،: متى كانت ولادته واستعماله؟ بأي دلالة استعمل أوّل مرّة؟ ماذا طرأ عليه طوال حياته من طوارئ في البنية والدلالة والاستعمال؟ إذا أهمل فمتى أهمل؟ وإذا تحوّل مصطلحا فبأي مفهوم؟ وفي أي علم أو معرفة؟ ومتى؟ [1] ولا شك في أنّ الإجابة عن هذه التساؤلات تكمن في إنجاز هذا المعجم اللغوي التاريخي، وذلك نظرا لاعتبارات عدّة علمية وحضارية وقومية التي تعدّ بمثابة دوافع إستلزمتها الصناعة المعجمية الحديثة تماشيا مع تطورات العصر الحديث وعليه فإنّ أهم الدوافع التي دعت إلى إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية والتي يمكن إيجازها في ثلاثة عناصر هي:

1 -الدوافع:

أ- الدافع العلمي: يتمثّل في سد ثغرة غياب معجم تاريخي للغة العربية، ويتحقق بذلك رصد التطوّر الدلالي للغة العربية عبر عصورها التاريخية، وفهم دلالات الألفاظ ومفاهيم المصطلحات في سياقاتها التاريخية فهما صحيحا، وبالتالي سد الفجوة المعجمية الناتجة عن قصور المعاجم العربية ومواكبة التطوّر العلمي.

ومن الدوافع العلمية أيضا استيعاب ألفاظ اللغة العربية في مدّونة معجمية واحدة، وتوفير المادّة اللغوية الكامنة للوفاء بحاجات الترجمة والتعريب، وخدمة اللغة العربية في مستوياتها المتعددة ، لتسير بذلك على خطى التطوّر العلمي بإعداد برامج حاسوبية و تصميم جذاذات إلكترونية تكون خادمة للمعجم.

ب- الدافع الحضاري : يتعلق الدافع الحضاري بالارتقاء باللغة العربية إلى مصاف اللغات العالمية الحيّة، اقتداء بأكثر لغات العالم التي تملك معاجم تاريخية متجددة مثل: **الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والروسية،**

(1) بسام بركة و آخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص20.

وعرض الإنجازات الفكرية والعلمية للأمة عبر تطوّرها التاريخي [1]، ليكون بذلك هذا المعجم التاريخي بمثابة جسر يصل حاضر الأمّة بماضيها وتراثها الفكري والعلمي على مرّ العصور.

ج- الدافع القومي: يتمثل هذا الدافع فيما يلي:

- الحاجة إلى المعجم التاريخي من أجل التعبير عن القومية العربية، لأنه يوّحد بين الاستعمالات المعجمية العربية في مختلف المصادر التي استعملت فيها العربية.
- الحاجة إلى تأكيد الروابط اللغوية الجامعة بين مستعملي العربية مشرقا ومغربا.
- وجود المعجم التاريخي العربي سيعزز انتماء العرب إلى أمتهم لأنه سيؤكّد أصالة الفكر العلمي العربي الذي عبّرت عنه اللغة وانتقل منها إلى اللغات الأخرى.[2]

ولا شكّ في أنّ هذا المعجم التاريخي أثناء رصده لتلك التطورات الدلالية التي مرّ بها اللفظ خلال حياته منذ ولادته إلى الآن، فإنه بذلك يرصد أيضا التطوّرات الفكرية والعلمية التي عرفتها الأمّة العربية في تاريخها، وبالتالي سوف يُتيح ذلك الرصد فهم تراثنا الفكري والعلمي بدلالات ألفاظه ومفاهيم مصطلحاته التي استعملت بها في سياقاتها التاريخية والثقافية، فكم من لفظ استعمل في تراثنا الفكري والعلمي بدلالة لم تعد له الآن، لذلك كان لزاما تتبع تاريخ استعمال الألفاظ من عصر لآخر لمعرفة ما استمرّ تداوله من الألفاظ وما توقف في مرحلة من المراحل.

بذلك يصّح القول أنّ تأليف معجم تاريخي للغة العربية لا يماثله تأليف أي معجم أو كتاب آخر، وأنّ حاجة الأمّة العربية إلى هذا المعجم هي حاجتها بالضبط إلى (ذاكرة) للغتها وفكرها، وهي حاجتها بالضبط إلى ميزان تزن به فهومها لتراثها وأحكامها عليها.[3]

2- الهدف من تأليف المعجم العربي التاريخي:

يتضح الهدف من إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية من خلال عناصر أربعة هي:

(2) ينظر-المرجع نفسه ، ص20، 21.

(2) إحسان النص: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية مسيرة وتاريخ، مجلة معجم اللغة العربية، دمشق، المجلد 82، ج1، ص 15.

(3) ينظر- بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق) ص 20.

الأوّل: تمكين الأمّة من فهم لغتها في تطوّراتها الدلالية على مدى ثمانية عشر قرنا على الأقل، وتحصيل الفهم الصحيح لتراثها الفكري والعلمي والحضاري، وذلك بإدراك دلالة كل لفظ بحسب سياقه التاريخي، ووصل حاضرها بماضيها في المستويات اللغوية والفكرية والعلمية.

الثاني: توفير عدد من المعاجم الفرعية التي تفتقر إليها المكتبة العربية، مثل المعجم التاريخي لألفاظ الحضارة (**الصناعات والحرف والعمارة**)، والمعاجم التاريخية لمصطلحات العلوم (**الطبية،الفيزيائية والفلكية، الرياضية، الجغرافية، الفلسفية، الشرعية، النحوية والبلاغية،** ...)، والمعجم الشامل للغة العربية المعاصرة والمعاجم اللغوية التعليمية [1] ، وذلك لما تعانيه مكتباتنا اليوم من نقص في المعاجم التي تختص بتتبع تاريخ المصطلحات العلمية المختلفة السالفة الذكر.

الثالث: تأكيد الحاجة إلى معجم تاريخي للغة العربية «للتخلص من نزعات التطرف والتوقع والتخمين، وهو ما يخلّص العربية ممّا ران عليها من أزمنة الضعف وأخفى ما قامت عليها حقيقتها من حرية واستجابة لواقع في نطاق قوانينها وقواعد التوليد فيها »[2]، أي أنّ إنجاز هذا المعجم التاريخي سوف يكون بمثابة رد على القائلين بضعف وانحطاط اللغة العربية هذا الأمر لا يعني أنّها كانت كذلك في مرحلة ما، لكن رغم ذلك تظل لغة راقية لها من الخصائص والصفات ما يؤهلها إلى الارتقاء إلى مصاف اللغات العالمية.

الرابع: ويتمثل في إثبات اللفظ ودلالته الأولى، والتغيرات الطارئة عليه على مرّ العصور، معززة بالنصوص الدالة عليها وموثقة بالمعلومات الضرورية، فإن ظهر لفظ عربي بدلالة واحدة استقر عليها يكتفي بإيراده مرّة واحدة، وإن طرأ عليه تغيران اثنان يذكر مرّتين، وإن طرأ عليه ثلاث تغيرات يذكر ثلاث مرّات (...) وهكذا، إذ يحرص كل الحرص على ألاّ يتكرر ذكر اللفظ إلاّ إذا تغير ذكر معناه في الاستعمال، وبحسب عدد التغيرات الطارئة عليه فحسب، ولا داعي إلى حشر المواد والمعلومات والإستشهادات التي تتجاوز تحقيق الهدف المتجلى في رصد التطوّرات الطارئة على اللفظ.[3]

(1) ينظر- بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 21،22.

(2) الحبيب النصراني: مؤلفات الجاحظ مصدر من مصادر المعجم التاريخي- دراسة في المستويات اللغوية، المعهد العالي للغات بتونس، د.ط، 2007، ص7.

(3) ينظر- بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 23.

وانطلاقا من هذه العناصر الأربعة يتبين لنا الهدف من إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية وهو بناء ذاكرة لغوية ترصد وتحفظ في الوقت نفسه تغير دلالة الألفاظ وتطوّرها على مرّ السنين، ممّا يسهّل على الأمّة العربية الرجوع إلى تراثها اللغوي والفكري عبر هذه الذاكرة ومن ثمّ التعرف عليه وفهمه فهما صحيحا.

ثالثا– مراحل إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية:

نظرا إلى الاتساع الجغرافي لاستعمال اللغة العربية، وإلى المدى الزّمني الممتد على مدى ثمانية عشر قرنا، وإلى ضخامة التراث المعرفي والثقافي المدوّن بها، فقد استدعى تقسيم العمل على إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية خمسة مراحل سيوضحها الجدول التالي تحت عنوان: **"الإطار الزمني لإنجاز المعجم التاريخي"**.

المرحلة	امتدادها الزمني	المدّة الزمنية بالأعوام
الأولى	من بداية القرن الخامس قبل الهجرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة	3
الثانية	من بداية القرن الثالث للهجرة إلى نهاية القرن الخامس للهجرة	3
الثالثة	من بداية القرن السادس للهجرة إلى نهاية القرن الثامن للهجرة	3
الرابعة	من بداية القرن التاسع للهجرة إلى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة	3
الخامسة	من بداية القرن الثاني للهجرة إلى عام 1421هـ الموافق لعام 2000م	3
المدّة الزمنية الكاملة		15

بحيث تطبق في كل مرحلة من هذه المراحل الخمسة الخطوات التالية:

- إحصاء مصادر المدوّنة بأنواعها المختلفة.
- حصر المصادر المحسوبة.
- رقمنة المصادر غير المحسوبة.
- تدقيق المدوّنة النصية من المدوّنة اللغوية.
- معالجة ألفاظ المدوّنة النصية.
- ثم تدقيق المعجم في كل مرحلة ومراجعته واعتماده.[1]

(1) بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 30.

اعتمادا على الجدول يمكننا القول أنّ هناك تباين واضح في تقسيم المراحل من حيث امتدادها الزمني، إذ نلاحظ أنّ المرحلة الخامسة كانت الأطول مقارنة بالمراحل الأخرى والتي تمتد إلى حوالي تسعة قرون، تليها المرحلة الأولى بسبعة قرون، أمّا المراحل المتبقية (الثانية، الثالثة، الرابعة) فكل واحدة تمتد على مدى ثلاث قرون، كما حُدّدت كل مرحلة بثلاثة سنوات كمدّة زمنية لإنهاء العمل عليها، وبالتالي قد يستغرق هذا العمل المعجمي خمسة عشر عاما من أجل إخراجه في صورته النهائية، وعليه فإنّ هذه المراحل وإن اختلفت في امتدادها الزمني من جهة فإنّها تتفق جميعها على خطوات العمل الممتدة في كل مرحلة من جهة أخرى.

ويبقى هذا العرض مجرّد تصوّر نظري لمراحل إنجاز المعجم التاريخي لم يُطبق بعد، انبنى انطلاقا من التجارب السابقة، دون الخوض في التفاصيل، وهو تصوّر يرى فيه الباحثون واللغويون الأمل في وضع معجم تاريخي للغة العربية.

المبحث الثاني: إسهامات فيشر في الصناعة المعجمية العربية الحديثة

تعود الأغراض الأولى للتأليف في المعجم العربي إلى حاجة تعليمية – بشرية، جسّدتها الرغبة في معرفة مفردات اللغة العربية وخصائص كل لفظ فيها هذا من جه ة ومن جهة أخرى فقد تطوّر التأليف المعجمي عند المستشرقين منقسما إلى قسمين هما:

أولهما نظري: أي التأليف في المعجمية العربية، نشأتها، ومدارسها، وتاريخها، وأصالتها.

ثانيهما تطبيقي: أي تأليف معاجم عربية وفق عدّة مناهج لغوية (تاريخية، مقارنة، وصفية، ...) ولعّل جديد التأليف المعجمي عند المستشرقين يتضمن ما يلي:

1- فهرسة النصوص معجميا مثل: " **نحو الفرقان في أطراف القرآن**" لفلوجل.[1]

2- التأصيل المقارن للألفاظ المعربة مثل: " **الألفاظ الآرامية في القرآن** " لفرينكل.

3- المعجم الوصفي لمرحلة معينة مثل: " **معجم العربية المعاصرة** " لهانزفير.[2]

4- فكرة المعجم التاريخي مثل: "**المعجم اللغوي التاريخي** " لأوجست فيشر.[1]

(1) ينظر- عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان- العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 30.

(2) جوستاف فلوجل (1803-1870): مستشرق لغوي فرنسي درس اللغات الشرقية في لايبزغ، من أهم أعمال تحقيق كشف الظنون لحاجي خليفة.

هذا الأخير سيكون محور دراستنا في هذا المبحث وذلك بإلقاء الضوء على حياته وأهم أعماله وإسهاماته في المعجمية العربية.

أوّلا: نبذة عن "فيشر"ومعجمه التاريخي

1- أوجست فيشر: هو « مستشرق ألماني ولد سنة 1865م بهالة، تخرج باللغات الشرقية على يد "**توربك**هـ"[2]، أتقنها وخلف "**سوسين**" عليها في **لايبزغ** (1899-1930) فتخرّج على يده: "**شاده**"، "**جراف**" و"**برجشتراسر**"[3]، وقد اعتنى بفقه اللغة كأساس لدراسة النصوص وتحقيقها، وامتاز ببراعة ودّقة لاسيما فيما تناول من أصول اللغة وفن المعاجم وما اشتمل على الشعر القديم ولهجات الشعوب»[4]؛ فهو المتفقه في شتى اللغات السامية من عربية وعبرية وسريانية وفارسية وحبشية وغيرها. وهو العليم بموازين الدراسات في اللغات على اختلافها: شرقية وغربية، قديمة وجديدة، وهو البصير بقواعد البحث العلمي على أدّق مناهجه، وأحدث طرائقه، وهو الصابر المثابر الذي يعمل جاهدا لا كلالة ولا ملالة، وهو فوق ذلك كلّه صاحب الهوى العذري- إن صحّ التعبير – للغة العربية على وجه خاص.[5]

من هنا يمكننا القول أنّ اهتمام "فيشر" باللغة العربية وامتيازه في دراسة مختلف جوانبها اللغوية دليل على انتشار هذه اللغة واستقطابها لباحثين عن هويتها التاريخية من داخل وخارج البلاد العربية، فقد جدّد بمذهبه هذا التعليم العربي في جامعات ألمانيا، وأنشأ مجلة الدراسات السامية في لايبزغ سنة 1932، وصارت له شهرة واسعة وصلت الأقطار العربية حيث انتخب عضوا في المجمع العربي بدمشق ثم بالمجمع اللغوي بمصر، ومن أهم آثاره نجد:

---

(3) هانزفير (1909-1981): مستشرق معاصر، مهتم بالعربية المعاصرة، ولهجاتها الحديثة. أشهر أعماله (القاموس العربي- الألماني)، وهو قاموس للغة العربية المعاصرة، كل مفرداته مستقاة من الصحف والمجلات العربية الحديثة.

(1) توربكهـ(1837-1890): مستشرق ألماني، شغل منصب أستاذ للعربية وآدابها في جامعتي هايد لبرج وهاله، اعتنى باللهجات العربية الحديثة، من أعماله تحقيق (درة الغواص للحريري ت 516هـ)

(2)جوتهلف برجشتراسر (1886-1933): مستشرق ألماني، تتلمذ على يد أوجست فيشر، نال الدكتوراه من جامعة لايبزغ 1911م، أهم تحقيقاته (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ت 370هـ)، و(طبقات القراء لابن الجزري ت 833هـ)، و(كتاب اللامات لابن فارس ت 395هـ).

(3) محمد عابد الجابري: الشبه الإستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص 365.

(4) ينظر- إبراهيم أنيس: جلسة استقبال الأستاذ محمود تيمور، مجلة مجمع اللغة العربية، ج8، مطبعة وزارة التربية والتعليم، د.ط، 1955، ص 51.

"مخارج الأصوات في اللهجات العربية"، "فهرس المخطوطات العربية والفارسية الخاصّة بالرحالة برتشارد"، وخير ما خلّف هو:**"معجم اللغة العربية"** مرتبا على المصادر، وقد قضى أربعين عاما في جمعه وتنسيقه.[1]

وقد جاء في كلمة ألقاها الباحث **"محمود تيمور"** أحد أعضاء المجمع المصري حديثه عن جهود فيشر في المعجم اللغوي التاريخي قائلا: « كان أوجست فيشر أحد أولئك الأفذاذ الذين تتراءى لهم في مؤتنف حياتهم أحلام عزيزة، تملك عليهم أقطار نفوسهم، فيهبونها قصارى جهودهم، لا يملّون السعي إليها بكل سبيل، ولا يبالون ما يعانون فيها من كدّ موصول، و لا يفتأ هواهم يناجي هذه الأحلام العزيزة، حتى تتحقق لهم ميسورة المنال، أو تحول بينهم وبينها دانية الآجال...» ثم يضيف: « كان الحلم العزيز الذي صبغ حياة الباحث فيشر بصبغته، وغلب على كل مناحي *كفايته*، أنه أراد أن يكون للغة العربية معجم يؤرخ ألفاظها، ويتناول ما تعاقب على هذه الألفاظ من أطوار، راجعا بكل لفظ إلى منزعه، أو إلى مقابله في شقائق العربية من اللغات السامية.»[2]

من خلال هذا القول يتضح لنا المكانة العلمية التي احتلها "فيشر" بين زملائه العرب من أعضاء المجمع المصري، حيث يؤكد الباحث "محمود تيمور" على المجهود الذي بدله "فيشر"، وكذا تحليه بالصبر من أجل تحقيق حلمه بأن يكون للغة العربية معجم تاريخي، وذلك رغم الصعوبات التي قد تواجه أي باحث في ذلك الوقت، باعتبار أنّ تلك الفترة كانت تمثّل زمن الحرب العالمية الثانية، وبالتالي صعوبة التنقل بين بلده ألمانيا التي كانت تشتعل حربا، وبين مقر عمل المجمع اللغوي بمصر.

2- المعجم التاريخي لفيشر:

يعدّ معجم "أوجست فيشر" من أهم معاجم المستشرقين التي أثّرت في الدراسات المعجمية العربية، باعتباره أوّل معجم حاول التأريخ لألفاظ اللغة العربية وتطوّر معانيها، حيث كانت بداية مشروعه في أوائل القرن العشرين، وذلك أثناء عرض فكرته في ثلاث مؤتمرات إستشراقية هي: **بازل 1907، كوبنهاغن 1908، أثينا 1912**، والتي حظيت بالقبول والاستحسان من قبل الأعضاء المشاركين في هذه المؤتمرات الثلاثة.

(1) ينظر- محمد عابد الجابري: الشبه الإستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم، ص 365.

(2) إبراهيم أنيس: جلسة استقبال الدكتور محمود تيمور، مجلة مجمع اللغة العربية، (مرجع سابق)، ص 51.

وقد بدأ "فيشر" العمل في معجمه مدعوما دعما متقطعا من بعض الجهات الألمانية، استعان فيه بجهد تمهيدي قام به بعض أساتذة العربية في جامعة لايبزغ منهم: "**فلايشر Fleicher**"[1] و"**توربكه Thorbeke**"[2]، أي أنّه يمكن القول أنّ قبول مشروع "فيشر" في تلك المؤتمرات كان بمثابة حافز شجعه على المضي قدما من أجل إنجاز معجمه التاريخي حتى ولو استعان في ذلك ببعض الجهود السابقة.

وخلال هذا العمل حاول « أن يضع جذاذات بلغت الآلاف، لمعجم اللغة العربية مستمّد ة من المصادر القديمة على اختلاف العصور، ليكون معجما تاريخيا يدّل على تطوّر معاني الألفاظ من عصر إلى آخر»[3]

وهذا يؤكد المدّة الزمنية التي قضاها في جمع مصادره والتي تقدر بحوالي أربعين عاما، إذ لم يشأ "فيشر" لمعجمه أن يكون نقولا عن معاجم موضوعة، أو تعديلا لما هي عليه، بل رسم لنفسه مراجع مختلفة كانت أهونها عنده هذه المعاجم، فانصرف بذلك إلى منابع اللغة نفسها، فيما دوّن من أدبها من منظوم ومن نثر فجمع بين يديه النصوص الأدبية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وانكبّ يستقرأ ألفاظها، ويسجل لكل لفظ شاهده الذي ورد فيه، حتى يستبين معناه في مقام الكلام، ويتعين موقعه في سياق الاستعمال [4]، وهذا ما يعكس لنا التميّز الذي أراده "فيشر" لمعجمه بأن يكون معجما جديدا في مصادره وشواهده، وليس معجما تقليديا يدّل على ذلك كثرة إطلاعه على مختلف النصوص الأدبية من نثر وشعر دون استثناء.

ولما كان هذا المستشرق الألماني عضوا في لجنة " **مجمع اللغة العربية** " في القاهرة، طُلب منه وضع خطة للمعجم التاريخي، وقد كان الحافز لدى "فيشر" للبدء بصنع مثل هذا المعجم أمرين:

الأوّل: نظري، لرؤية اللغة «على أنّها دائمة التطوّر (...) ولكل كلمة تطوّرها التاريخي الخاص...»، يدّل ذلك على اهتمامه بهذا المعجم من خلال عرضه على المؤثرات الإستشراقية التي سبق ذكرها.

الثاني: تطبيقي، لتأثره بإنجاز" **معجم أكسفورد الإنجليزي** " الذي يُعدّ أوّل معجم في العالم يسجّل مفردات اللغة ويعالجها معالجة تاريخية، فأراد "**فيشر**" تطبيق منهجه على اللغة العربية.

---

(2) هاينريش ليبرنست فلايشر (1801-1888): مستشرق ألماني، تتلمذ على يد دي ساسي في باريس، من أهم أعماله: ترجمة (ألف ليلة وليلة) في تسعة مجلدات سنة 1843م، ونشر (تفسير القرآن للبيضاوي ت 685هـ) سنة 1846م.

(2) ينظر- بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 78.

(1) صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في العربية، ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ط1، 1978، ص 11.

(4) إبراهيم أنيس: مجلة مجمع اللغة العربية، ج8، (مرجع سابق)، ص 51،52.

واستجابة لطلب المجمع المصري عرض هذا الباحث أنموذجا من المعجم على أعضاء المجمع لدراسته ومناقشته، وجاء الردّ بعد ذلك إيجابيا، حيث أبدى المجمع رغبته في تبني هذا العمل وتحمل تكاليف طباعته ونشره ،[1] ومن هنا يمكننا القول أنّ قبول المجمع لهذا العرض الذي قدّمه " **فيشر** " وتبنيه دليل على قيمته اللغوية، وبذلك فإنّ المجمع قد وجد ضالته المنشودة والمتمثّلة في جذاذات معجمية تعتبر كبداية لانطلاق العمل على إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، لكن لما غادر" **فيشر** " القاهرة صيف 1938 إلى ألمانيا، «حالت الحرب العالمية الثانية بينه وبين عودته السنوية لاستئناف عمله في وطن حلمه العزيز»[2]، وكان قد ترك من عمله «مقدمة معجمه حتى آخر مادّة (أبد)، وبعد وفاته سنة 1949 لم يرى معجمه النور إلاّ سنة 1967»[3] ، أي تقريبا بعد ثمانية عشر عاما.

3- وصف معجم فيشر : بما أنّ هذا المعجم لم يكتمل سوف يقتصر الوصف على الأجزاء المطبوعة فقط وهي المقدمة والمتن على النحو التالي:

أ -مقدّمة نظرية اشتملت على أربع وثلاثين صفحة، تليها مصادر مختصرة لمصادر المعجم، ورموز أخرى لبعض المصطلحات.

ب -متن المعجم يربو على ثلاث وخمسين صفحة، تبدأ مواده **بالهمزة** وتنتهي بمادة "**أبد**"، حيث استغرق تفصيل الهمزة عشرين صفحة والصفحات الباقيات اشتملت على كلمات عربية وغير عربية، فهو معجم لا يحفل بجذور عربية كثيرة[4]، بل يجمع بين الكلمات الأعجمية والعربية بحيث يجعل لكل كلمة أعجمية مدخلا خاصا بها.

وقد وضّح "**فيشر**" منهج معجمه هذا في مقدمته التي طبعها مع نموذج منه، فحدّ الزمن الذي يدور فيه البحث بقوله: «فالمعجم يتناول بقدر الإمكان بحث تاريخ كل الكلمات التي جاءت في الآداب العربية مبتدئا بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النمّارة من القرن الرابع الميلادي ومنتهيا بالقرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من كمال».[5]من خلال هذا القول يحدد لنا " **فيشر** " الفترة الزمنية التي اشتمل عليها معجمه، حيث اقتصر على بحث تاريخ الكلمات العربية لقرون فقط كما جاء في قوله.

---

(3) ينظر- عبد الحسن عباس حسن الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان- العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 231.

(2) إبراهيم أنيس: جلسة استقبال الدكتور محمود تيمور، مجلة مجمع اللغة العربية، (مرجع سابق)، ص 52.

(2) عبد الحسن عبّاس حسن الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان- العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 231.

(4) المرجع نفسه، ص 232،231.

(4) حسين نصّار: المعجم العربي- نشأته وتطوره، ج2، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مكتبة مصر، ط2، 1968، ص 734.

ثانيا– أسس المعجم عند فيشر:

تعد هذه الأسس بمثابة عماد لآراء "**فيشر**" في معجمه التاريخي للغة العربية، إذ نجدها تتكون من الأسس العامة والتي تشترك فيها أكثر المعاجم اللغوية وهي: أسس خارجية وأخرى داخلية، ثم تليها الأس س الخاصة والتي تجعل من معجمه معجما تاريخيا سوف نوضحها فيما يلي:

1 -**الأسس العامة:** وتنقسم إلى:

أ -**الأسس الخارجية:** وتتمثل في:

أ–1– زمن المادّة اللغوية : لقد أشار اللغوي **فيشر** في مقدمة معجمه إلى رأيه في المعجم الذي تحتاج إليه اللغة العربية، فتساءل عن كيفية كون معجم العربية ملائما للتطوّر العلمي للعصر الحاضر، وأجاب عنه بوجوب اشتمال المعجم على كل كلمة– بلا استثناء– وجدت في اللغة.[1] فرأى الحق لكل كلمة عربية أن تدخل المعجم التاريخي لأنّ لكل كلمة تطوّرها الخاص بها وبالتالي من الواجب عرضه وتوضيح أطواره.[2]

لكنّه حين شرع في إنجاز معجمه جعل له حدّا زمنيا من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الثالث الهجري، هنا يظهر لنا جليا التناقض بين أقوال " **فيشر**" فمن جهة يعبّر عن رأيه بوجوب اشتمال معجمه على كل الكلمات دون تحديد وحقها في أن تكون جزءا من المعجم التاريخي، ومن جهة أخرى يمنع الحق للكلمات التي وجدت في عصور ما بعد القرن الثالث للهجرة.

أ–2– مصادر المادّة اللغوية: تتنوع مصادر المعجم التاريخي بتنوع تراث العربية، إذ يشمل ما كتب بالعربية كلّه ولاسيما النتاج الحضاري والإنساني، وقد انقسمت مصادر"**فيشر**" على أربعة حقول هي:

أوّلها: المصادر الإسلامية مثل: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكتب التفسير.

ثانيها: المصادر اللغوية، وشملت المعاجم اللغوية، [3] وكتب لحن العامّة ورسائل بموضوعات فقه اللغة، والقراءات وكتب النحو والصرف وشروحهما.

ثالثها : المصادر الأدبية، واشتملت على دواوين الجاهليين والمخ ضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين والأندلسيين، وكتب الاختيارات، مثل: المفضليات، ومؤلفات في الأدب والنقد العربيين.

(1) بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 83.

(2) عبد الحسن عبّاس حسن الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان– العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 232.

(3) المعاجم اللغوية الحديثة التي ألفها المستشرقون مثل معجم رينهارت دوزي وذلك لأنّها مختصة بالعربية الفصحى.

رابعها: المصادر التاريخية والجغرافية، وشملت كتب السيرة والتاريخ العربي، والإسلامي، والتراث الجغرافي.[1]

وتأكيدا على هذه المصادر الأربعة لابدّ لنا من عرض أحد أقوال " **فيشر** " التي جاءت في مقدمة معجمه التاريخي وذلك خلال تحديده لميدان البحث في هذا المعجم حيث يقول:«يتناول المعجم الكلمات الموجودة في القرآن والحديث والشعر والأمثال والمؤلفات التاريخية والجغرافية وكتب الأدب والكتابات المنقوشة والمخطوطات على أوراق البردى وعلى النقود (...) وقد استثنينا من ذلك في الغالب الكتب الفنية إلاّ أني توسّعت في أخذ المصطلحات منها.» [2] انطلاقا من هذا القول يمكننا الجزم باتساع الثقافة اللغوية لفيشر يدّل على ذلك كثرة المصادر التي اعتمدها واختلاف مواضيعها، إذ لم يتقيّد بمصادر ذات موضوع واحد بل عمد إلى التنوع من أجل التميّز، ويلاحظ أيضا غياب المعاجم العربية عن قائمته لأنه لم يرد لمعجمه أن يكون نقلا عن المعاجم السابقة له.

ب -**الأسس الداخلية**: وتتمثّل فيما يلي:

ب-1- المداخل: بنى "**فيشر**" مداخل معجمه معتمدا التفريق بين الكلمات العربية والكلمات الأعجمية على النحو التالي:

- مع الكلمات العربية: جعل في المدخل المادة الأصلية مجرّدة من الزوائد، ووضع تحتها مشتقاتها [3]، ومنهج "**فيشر**" في بناء مداخله يبدأ بإيراد الفعل المجرّد من المادة، ثم المزيد بحرف، ثم بحرفين، ثم بثلاثة أحرف، وكذلك الأسماء تذكر كلها بعد الأفعال وترتب على ترتيبها، [4] أي أنه لم يفرّق في ترتيبه بين الأفعال والأسماء بل جعلها على ترتيب واحد.

- مع الكلمات الأعجمية : جعل لكل كلمة أعجمية مدخلا خاصا بها، بحيث يوردها على صورتها التي هي عليها، من دون أن يعيدها إلى أصل عربي، إلاّ إذا تصرّف فيها العرب.

وقد تحدّث "فيشر"عن هذا الأمر في مقدمة معجمه التاريخي حيث قال:«الكلمات الأعجمية المعرّبة الزائدة على ثلاثة أحرف تتبع الكلمات العربية في ترتيب المعجم إن تصرّف فيها العرب بالاشتقاق، مثل: إبريق، دكان، ديباج، أسوار، سراويل، نجدها في مادّة " **بَرَقَ** "، "**دَكَّنَ**"، "**دَبَجَ**"،"**سَوَرَ** "، "**سروال** "، وهلم جرّا ، أمّا ما لم

(4) عبد الحسن عبّاس حسن الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان- العربية أنموذجا، ص 232.

(2) حسين نصّار: المعجم العربي- نشأته وتطوره، ج2، (مرجع سابق)، ص 734.

(3) بسام بركة وآخرون، نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 84.

(3) عبد الحسن عبّاس حسن الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان- العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 233.

يتصرف فيه العرب بالاشتقاق فتعتبر حروفه كلها أصلية، مثل: **ابر يسم ،إستبرق ، سفرجل، شطرنج، ...الخ**»[1]

هذا القول ينبهنا إلى ضرورة التفرقة بين الألفاظ العربية والألفاظ الأعجمية المعرّبة، لأنّ ما تصرّفت فيه العرب لاشكّ أنه يختلف عمّا جاءت به دون تصرّف، يدّل على ذلك عناية " **فيشر** " بطريقة ترتيبه لمداخل معجمه وتفريقه بين اللفظ العربي و اللفظ الأعجمي.

ب-2- الترتيب : ارتضى "**فيشر** " لمعجمه الترتيب الألف بائي، حيث يقول في هذا الصدد: «وقد رتّب ت الكلمات على حسب المواد، الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية على اعتبار الحرف الأوّل والثاني والثالث أساسا...»[2] هذا بالنسبة لترتيب المداخل، أمّا ترتيب المشتقات فقد بدأ في ترتيبه بالفعل المجرّد، ثم المزيد بحرف، ثمّ المزيد بحرفين، ثم بثلاثة أحرف، وبالتالي تكون أبنية الأفعال على الترتيب التالي:

فَعَل، فَعِل، فَعَّل، فَاعَل، أَفْعَل، تَفَعَّل، تَفَاعَل، انْفَعَل، افْتَعَل، افْعَلَّ، اسْتَفْعَل، افْعَالَّ، افْعَوعَل، افْعَوَّل، افْعَنْلَلَ، افْعَنْلَى.

ثم ترتيب الأسماء على ترتيب الأفعال أي المجرّد فالمزيد، وهكذا لتكون أبنية الأسماء على الترتيب التالي:

فَعْل، فِعْل، فُعْل، فَعَل، فَعِل، فِعَل، فِعِل، فُعُل،فُعَلَ، فَعُل، فَاعِل، فَاعَل، فَعَال.

ومن الأمثلة التي عرضها " **فيشر** " في هذا السياق مادّة (**أَبَدَ**) حيث قام بذكر أصلها السامي، ثم بدأ بالمشتقات على النحو الآتي: "**أَبَدَ**" ثم "**أَبِدِ**" ثم "**أَبَّدَ**" ثم ذكر الخماسي: "**تَأَبَّدَ**" ثم الأسماء: "**إِبْد**" "**أَبَد**" ثم "**أَبدُ**" "**إِبِد**" ثم "**إِبِدَةُ**"، "**أَبِدَةُ**" ثم "**أَبَدِي**" ثم "**أَبَدِي**" ثم "**أَبَدِيَّة**" ثم "**آبِد**" ثم "**أَبْيَدُ**" ثم "**أَبُودُ**" ثم "**أَيْبَدُ**" ثم "**مُؤَبَّدُ**" ثم "**مُتَأَبَّدْ**"

إنّ ترتيب هذا المعجمي " **فيشر** " لمادته اللغوية بهذه الطريقة وذكرها لأصولها السامية، سواء ما تعلق منها بالأفعال مجردة كانت أو مزيدة، وما تعلق بالأسماء أصلية أو مشتقة، يظهر لنا براعته في الصناعة المعجمية، كما يدّل على المستوى اللغوي الذي كان سيبلغه هذا المعجم لو كُتِب له الكمال.

ب-3- الشرح: ذكر "**فيشر** " في خطة المعجم التاريخي عدّة قضايا يمكن إدراجها ضمن كيفية شرحه للكلمات، عرضها الباحث "**عبد العزيز الحميد**" على النحو التالي:

-ضبط كلمات المعجم بدقة، إمّا بذكر مثال مشهور، أو بالنص على حركات حروفها.

(1) بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، ص 84.

(1) عبد الحسن عبّاس حسن الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان- العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 233.

- الاستشهاد للكلمات والتراكيب والمعاني المختلفة، مع ذكر الشاهد والمصدر الذي أخذ منه والمؤلف أو الشاعر، ورقم الصفحة والشعر أو القصيدة والبيت.
- التفريق بين شواهد النثر والشعر بوضع نجمة أو علامة أخرى مع الشعر.
- ترتيب الشواهد تاريخيا حسب تواريخ مصادرها، وذلك لمعرفة حياة الكلمات وتاريخها.
- وضع علامة خاصة بالمعرّب والدخيل مع ذكر اسمه العلمي.
- تفسير الاصطلاحات الحديثة بأسمائها العلمية.[1]

هذا فيما يخص الأسس العامة التي تبناها **"فيشر"**، أمّا الأسس الخاصة والتي تجعل من معجمه معجما تاريخيا متميّزا عن غيره من المعاجم فتمثلها وجهات النظر السبع (التاريخية والتعبيرية والتصريفية والاشتقاقية والنحوية والبيانية والأسلوبية)، والتي أقرّها في مقدمته ورأى وجوب أن تعرض كلّ كلمة عند دراستها على هذه الوجهات السبع الآتي ذكرها والتي تمثلها الأسس الخاصة وهي:

2 -الأسس الخاصة: ويندرج تحتها ما يلي:

أ -**الوجهة التاريخية** : وهي أهم ما يميز المعجم التاريخي، وتكون برصد تطوّر معاني الكلمة في الأطوار كلها التي مرّت بها، وذكر شواهدها مرتبة ترتيبا زمنيا [2]، وذلك من أجل التمييز بين أقدم الشواهد وأحدثها مع نسبة كل شاهد إلى العصر الذي ورد فيه.

ب -**الوجهة التعبيرية** : تتناول الناحية التعبيرية وذلك بتحقيق معنى الكلمة أو معانيها، وفي حالة وجود عدّة معاني ترتب على حسب علاقاتها التاريخية ومن ثمّ تراعي قواعد معينة لترتيب تلك المعاني هي:[3]

- يذكر دائما المعنى الأوّل للكلمة التي لها معان مختلفة، وهو ما يؤخذ من اشتقاق الكلمة.
- يجب في ترتيب المعاني تقدم المعنى ال عام على الخاص، والحسي على العقلي، والحقيقي على المجازي، كما يجب مراعاة علم المجاز، ومراعاة استعمال الكلمة اصطلاحا، ويراعي الترادف بين الكلمات لأهميته في الموازنة بين الكلمات المتقاربة المعاني.

(1) بسام بركة وآخرون: نحو معجم للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 87.

(2) المرجع نفسه، ص 88.

(3) محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية- وثائق ونماذج، (مرجع سابق)، ص 54.

ج- الوجهة التصريفية : تتناول تحديد الصيغ التصريفية للكلمة، أي تصريف الأسماء والأفعال، مع الاستشهاد على الحالات التي تحتمل الشك، أمّا الصيغ النادرة فيحسن إيراد جميع شواهدها.

د- الوجهة الإستشقاقية : تتناول البحث عن أصل الكلمة ونسبها، ويرتبط بها علم ضبط الهجاء، أمّا الكلمات المعربّة فترد دائما إلى أصولها الأولى، فقد أورد" **فيشر** " مشتقات للكلمة التي لها معنى خاص فقط والتي لها علاقة بالتصاريف اللغوية **كصيغ الأفعال وصيغ أسماء الفاعل والمفعول ومصادر الأفعال المزيد فيها** من مثل: **حاكم، مسلم، مجتهد، تأريخ، مزاوجة، إسلام، استدراك**...الخ، أمّا مشتقات الكلمة التي لها معنى عام فلم يذكر لها أي صيغة.

هـ- الوجهة النحوية: تتناول الصفات كلها التي تربط كلمة بأخرى، وتتناول ترتيب كلمات لها مواضع معينة في السياق مثل: "**فقط**"، "**إنّما**"، "**أيضا**" وغيرها، مع مراعاة المضمر أو المحذوف ومعرفة هل استعملت الكلمة استعمالا مطلقا جائزا؟ هل الفعل متعدي أو لازم؟ متى ظهر هذا التعبير أو ذاك للكلمة أوّل مرّة أو آخرها وأين؟

و- الوجهة البيانية: تتناول علاقات الكلمة اللازمة لها دائما، مثل التراكيب النحوية أو التعابير اللغوية التي قضت روح اللغة بوضعها في موضع خاص لعامل من عوامل البلاغة، ومن تلك العلاقات نجد:

- صيغة الإتباع والمزاوجة، نحو: "**شاغب لاغب**"، "**حريب سليب**"، و"**أربّ فلان وألبّ**"[1]
- صيغة المشاكلة مثل قوله تعالى:«**ومَكَرُوا ومَكَرَ الله**»[2] ، "**كما تدين تدان**"، وغيرها.
- صيغة التوكيد المشتقة من الاسم المؤّكد مثل: "**موت مائت**" و"**شعر شاعر**" و"**العرب العاربة**"[3] وغيرها.
- صيغة ازدواج عبارتين متضادتين للتعبير عن معنى واحد مثل قوله تعالى:« **لله الأمرُ مِنْ قَبْلُ ومنْ بَعْدُ** »[4] وقوله أيضا:«**مَا بَينَ أَيديهم ومَا خَلفَهم** »[5]، وكذلك "**البعيد والقريب**" وغيرها.

ي- الوجهة الأسلوبية: تحدد المحيط اللغوي الذي تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالا عاما أو خاصا، حيث نجد في الاستعمال العام لغة القرآن والحديث، وأسلوب الشعر والنثر، والأسلوب التاريخي وكذا

(1) بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 88،89.

(2) القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية 54.

(3) بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، ص89.

(4) القرآن الكريم: سورة الروم، الآية 4.

(5) المرجع نفسه، سورة البقرة، الآية 255.

أسلوب الفنون، أمّا الاستعمال الخاص فيقتصر على الأسلوب الشخصي لمؤلف معين، إذ يستعمل كلمة أو تركيبا معينا، أو يكون له أسلوب خاص يتميز به مؤلّفه عن غيره من المؤلفات.[1]

انطلاقا من هذه الوجهات السبع يمكننا القول بأنّ هذا التصنيف الذي وضعه " **فيشر**" كأساس لرصد تطور الكلمات العربية، وهذا الإغراق في التفصيل دليل على نضجه الفكري والعلمي، يؤكد ذلك استيعابه لوظيفة المعجم التاريخي وفهمه لكثير من الخصائص اللغوية، فهما قد يحتاج إليه الباحث اليوم.

ثالثا– آراء فيشر في صناعة المعجم التاريخي:

يعد "**أوجست فيشر**" من أبرز المستشرقين في ميدان صناعة المعجم، وأقواهم أثرا فيه، وكان جهده المعجمي معتمدا على أسس واضحة لديه والتي سبق ذكرها تنطلق من اتجاه يؤمن به في ميدان المعجم، ولكي نعرف اتجاهه في هذا الميدان يحسن أن نعرف أرائه التي دعا إليها،ثم نكشف مدى تطبيقه إياها في معجمه، وعليه فإن لأرائه هذه مصدران هما:

الأول: تقريره عن المعجم التاريخي الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الذي أصدر قرارا بأن ينجز" **فيشر**" نموذجا لجذاذات المعجم، وأن يضع تقريرا يشرح فيه طريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية، ويمثّل هذا التقرير رؤيته المثالية للمعجم التاريخي، لذا لم يحاول تطبيق كل رؤيته في تقريره حين بدأ بمعجمه التاريخي.

الثاني: منهجه المستنبط ممّا طُبع من معجمه التاريخي، وهو نموذج صغير يشمل المقدمة وجزءا من حرف الهمزة إلى مادة (**أَبَدَ**) لكن المقدمة جاءت غنية بتفاصيل منهجية، مع قيمة النموذج الصغير في ملاحظة الجانب التطبيقي.

لكن ما يلاحظ على آراء " **فيشر**" التي ذكرها في تقريره والصورة التي جاء عليها المعجم، أنّ هناك اختلافا بيّنا بينهما، لعّله حينما وضع تقريره نظر إلى الصورة التي يراها للمعجم التاريخي، مع إيمانه بأنه يحتاج إلى من يطبق تلك النظرية.

وحين شرع في صنع معجمه التاريخي لم يلتزم بكل ما ذكره في خطة المعجم التاريخي الكبير، لأنّ ذلك التقرير أعدّه للمجمع، أمّا في معجمه الخاص فلم يلزم نفسه كل ما ذكره هناك، لأنه لا يستطيع القيام به وحده.[2]

(1) ينظر– بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، ص 90.

(2) بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 82،81.

وقد تجلّت آراء هذا اللغوي المستشرق في نقده لمعاجم اللغويين القدامى، فهي بالرغم من غنائها ووفرة مادتها اللغوية، لم تعنى بالجانب التاريخي للغة العربية، حيث تطرّق إلى بعض القضايا التي تغاضى عنها هؤلاء اللغويين وذلك من خلال:

- ذكره لعيوب المعاجم القديمة والتي تقف عند الفصيح الذي لا يتجاوز استعماله القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وأنها لا تهتم بسواه ممّا تداولته الألسن فيما بعد.

- ذكره اختلاف اللغويين القدامى في الاحتجاج بشعر الإسلاميين من أمثال: **جرير والفرزدق**، ورفضهم رفضا باتا الاحتجاج بشعر المولّدين من أمثال: **بشار بن برد** و**أبي نواس**.

– ذكره مصادر الفصيح عند هؤلاء اللغويين والتي اقتصرت على القرآن الكريم والحديث النبوي، وكلام فصحاء العرب.

– ذكره لعدم اهتمام اللغويين بقصص البطولة وبكتب السيرة والمغازي والتاريخ والآداب القديمة، فهم بذلك أهملوا ثروة لغوية طائلة.[1]

انطلاقا ممّا تقدّم يتضح لنا أنّ " **أوجست فيشر** " لم يكن لغويا باحثا فقط، بل كان معجميا ناقدا، على معرفة تامّة بالمعاجم القديمة، من حيث مادتها اللغوية ومصادرها، يدّل على هذا ذلك التميّز الذي أراده لمعجمه التاريخي بأن يشمل جميع ألفاظ اللغة العربية الواردة في دواوين الشعراء، ونصوص النثر الفني وغير الفني، والقرآن على اختلاف رواياته والحديث، وكل ما يتعلق بعلوم العربية من نحو وصرف ...إلخ.

كما يجب الإشارة إلى أنّ " **فيشر** " قد وضع في أكثر جذاذاته ترجمة للكلمات العربية باللغتين الألمانية والإنجليزية، في حين اقترحت لجنة المجمع المصري أن تترجم الكلمات العربية باللغتين الإنجليزية والفرنسية [2]، حتى يتسنى لغير العربي الرجوع إلى المعجم وفهم محتواه.

المبحث الثالث: المعجم اللغوي التاريخي بعد فيشر

لقد أحدث المستشرق الألماني "**أوجست فيشر**" إنتقالة حقيقية في مجال الصناعة المعجمية العربية الحديثة، من خلال محاولاته لوضع "**معجم تاريخي للغة العربية**"، وإن توقفت عند مقدمة ونموذج لمادة **أَبَدَ**"، وذلك لما في هذا العمل من صعوبة ومشقة كبيرين، «فواضح أنّ الفرد من الباحثين لا يمكنه القيام وحده بهذا العمل الضخم ولو

(1) ينظر- شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما (1934-1984)، مصر، ط1، 1984، ص 154.

(2) محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية- وثائق ونماذج، (مرجع سابق)، ص 29.

قضى في ذلك عمره، وهذا الذي صنعه " **فيشر**" – في علمنا- ما هو إلاّ جزء صغير جدّا من المعجم »[1] والذي توقف العمل فيه تزامنا مع وفاة صاحبه عام 1949م، حيث أدرك المجمع المصري أنّ وضع مثل هذا المعجم «يستلزم استقصاء نصوص النثر والشعر، في مختلف العصور والبيئات وتسجيل ما ورد فيها من ألفاظ ودلالات وهذا في رأي – المجمع- لم تتهيأ له كل الأسباب بعد [2]»، هكذا اعتذر المجمع عن عجزه عن إخراج المعجم التاريخي، لكن في الوقت نفسه برزت محاولات جادّة لبعض الباحثين والمؤسسات والمجامع اللغوية في سبيل إنجاز "**المعجم اللغوي التاريخي** " جسّدها حضورهم القوي في مؤتمرات عربية، فكان منهم من سار على منهج "**فيشر**" محاولا إكمال ما تبقى، ومنهم من رأى في ذلك حاجة وضرورة عصرية لابدّ منها.وفيما يلي عرضنا لأهم هذه المحاولات:

أوّلا– المعجم التاريخي عند الأفراد : ترك "**فيشر**" أثرا عميقا في نفوس الباحثين العرب والذين دعوا إلى اقتفاء أثره في صناعة "**المعجم التاريخي**"، وقد تجسّد ذلك من خلال بحوث قدّمها هؤلاء الباحثين ونذكر منهم على سبيل المثال:

1) **إسماعيل مظهر**: كان يعمل في المجمع المصري لما اختاره "**فيشر**" ليعمل معه مع عدد من الباحثين لقراءة الكتب وجمع غريب الألفاظ وجمع الشواهد في جذاذات خاصّة، حيث كان لعمله هذا أثر كبير في اقتناعه بحاجة العربية إلى معجم تاريخي، أعدّ بحثا بعنوان: "**القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي** "، متأثرا في ذلك بمعجم **أكسفورد الإنجليزي**، ثمّ نشر بحثا آخر بعنوان "**اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغوي تاريخي**".

2) **علي توفيق الحمد** : دعا إلى وضع معجم تاريخي من خلال بحثه "**بطرس البستاني وجهوده المعجمية**"، وذلك بجمع المادة اللغوية التاريخية من القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب العرب لا من المعاجم القديمة، متأثرا "**بفيشر**" في جمع مصادر مادته اللغوية التاريخية، إضافة إلى البحث الذي قدّمه بعنوان "**المعجم التاريخي العربي – مفهومه، وظيفته، محتواه** "، وفيه عرّف المعجم التاريخي من مصادر أجنبية وعربية، وذكر مفهومه لدى عدد من العرب والمستشرقين وفصّل الحديث عن المعجم

(1) عبد الرحمان الحاج صالح: أنواع المعاجم الحديثة ومنهج وضعها، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد 78، ج3، ص681.

(2)محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي في اللغة العربية – وثائق ونماذج، ص 37.

التاريخي العربي المنتظر. [1] يتضح لنا من خلال هذه البحوث التي قدّمها هذين الباحثين اهتمامهم الواضح بالمعجم التاريخي العربي وتأثرهم بمنهج فيشر في وضع معجمه.

3) **محمد رقاس** : أحد مؤلفي كتاب "**نحو معجم تاريخي للغة العربية** " له عدد من الأبحاث منها: "**الهيكل الحاسوبي للمعجم التاريخي للغة العربية، التقنيات الحاسوبية في خدمته المعجم التاريخي للغة العربية** "، وكذلك "**التصميم الحاسوبي للجذاذة والمرونة والمرصد، ندوة خبراء المعجم التاريخي للغة العربية** "، و "**البرامج الحاسوبية المستخدمة في بناء المدونات المعجمية وتدبيرها: دراسة تقويمية** "[2]، يمكننا القول من خلال هذه البحوث التي قدّمها الباحث "**محمد رقاس**"، أنّها تعتمد بالدرجة الأولى على تقنيات البرمجة الحاسوبية، وذلك تماشيا مع التطورات العلمية في مجال الصناعة المعجمية الحديثة.

هذا بالإضافة إلى محاولات بعض الدارسين والمتمثلة في:

- بعض مؤلفات الباحث "إبراهيم السامرائي" مثل: (من معجم الجاحظ)، و(من معجم المتنبي)، و(من معجم المعري)، و(من معجم عبد الله بن المقفع)، و(رحلة المعجم التاريخي).
- ما تصنعه الباحثة "سهام عبد الوهاب الفريح" من معاجم لغوية لدواوين بعض الشعراء الجاهليين مثل: أمرؤ القيس والنابغة والأعشى وأوس بن حجر.
- ما تنشره الباحثة "ندى عبد الرحمان يوسف الشايع" من معاجم لدواوين بعض الشعراء مثل: شعراء المعلقات العشر، وعمرو بن قميئة. [3]

ثانيا– المعجم التاريخي عند المؤسسات : اهتمت بعض المؤسسات اللغوية بقضية المعجم التاريخي، فعقدت لذلك عدّة مؤتمرات وندوات ونشرت مختلف البحوث التي من شأنها أن تساهم في إنجاز هذا المعجم، ونخص بالذكر أهم الجمعيات وهي:

جمعية المعجمية العربية التونسية: هي جمعية علمية جامعية كوّنتها تلّة من المهتمين باللسانيات والمعجميات الدولية والعربية، تصدر عنها (مجلة المعجمية) التي بلغ عددها سنة 2001م خمسة عشر، عقدت منذ

(1) ينظر– بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 99–102.

(2) المرجع نفسه، ص 13.

(3) عبد الحسن عباس الزويني: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا، (مرجع سابق)، ص 230 .

نشأتها ندوات دولية عربية تهتم بالمعجم وقضاياه، ومنها الندوة المخصصة للمعجم العربي التاريخي، [1]والتي عقدت من 14إلى 17 نوفمبر 1989م في رحاب هذه الجمعية تحت عنوان: "**المعجم العربي التاريخي: قضاياه ووسائل إنجازه**" والتي أسفرت عن جملة من التوصيات أهمها:

أ– ضرورة البدء في وضع معجم عربي تاريخي لأنه يمثّل ذاكرة الأمّة العربية اللغوية والثقافية والحضارية التي تضبط رصيدها الفكري، ويكون مرجعها اللغوي والعلمي الأمين.

ب– ضرورة وضع منهجية علمية دقيقة ومحكمة لمادته وترتيبها وتعريفها، بالاعتماد على التقنيات الحديثة ولا سيما التقنيات المعلوماتية المتبعة اليوم.

ج– ضرورة الشروع في إنجازه حسب مراحل تتعهد بالمتابعة والمراجعة، على أن يحدد لكل مرحلة مدّة زمنية تقريبية ممكنة.

د– أن يكون هذا المعجم لغويا تاريخيا عامّا، يؤرخ لكلمات اللغة وللأساليب والتراكيب العربية، اعتمادا على النصوص المدوّنة في تطوّرها الزّماني وانتشارها المكاني مع الحرص على تأصيله منها.

هـ– الشروع في وضع متطلباته الأساسية من خلال ضبط مصادره ومراجعه الأساسية، وتكوين مكتبة العلمية، وضبط منهجيته في الجمع والوضع ترتيبا وتعريفا.[2]

و– استكشاف التقنيات العصرية المساعدة على طي المراحل في استقراء النصوص وتنظيمها، حسب القواعد المعلوماتية المتطورة ومتطلباتها.

ن– الإقتداء بالتجارب الغربية القائمة في البلدان المتقدمة ذات الخبرة والتجربة التي نتعاون معها من أجل الرقي بالثقافة العربية.[3]

وتعتبر هذه الندوة الخطوة الأولى في سبيل إنجاز المعجم التاريخي العربي، وهي بمثابة وقفة الخبرة والتأمل والبناء والنقد في المستوى النظري والتطبيقي، [4]ولا ننسى "**المعجم التاريخي** " الذي أنجزته هذه الجمعية الخاص بالشعر العربي في العصر الجاهلي وذلك بالتعاون مع "**كلية الآداب بجامعة تونس**"،[5] وبعرضنا لهذه التوصيات يتأكد لنا اهتمام الجمعية التونسية بقضية المعجم التاريخي من مختلف جوانبه، منهجا وترتيبا وتعريفا، وكذا ضبط المصادر

(1) محمد رشاد الحمزاوي: المعجم العربي المعاصر في نظم المعجمية الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج78، ج4، ص 1020.

(2) ينظر– إحسان النص: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، مجلة مجمع للغة العربية، دمشق، مجلد 82، ج1، ص 5،6.

(3) إحسان النص: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، ص7.

(4) محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية– وثائق ونماذج، (مرجع سابق)، ص 56.

(5) إحسان النص: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية ، ص 7.

والمراجع الأساسية، وبالتالي فإنّ هذا الاهتمام قد جاء نتيجة لقناعة شخصية، تميّز بها أعضاء هذه الجمعية وذلك بأن يكون للغة العربية معجما تاريخيا، يحفظ تراثها وحاضرها ويعبّر عن مستقبلها.

ثالثا– المعجم التاريخي عند المجامع: يمثلها "**إتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية** " الذي تأسس عام 1971م، وهو هيئة معنوية مستقلة مقرها مدينة القاهرة، يهدف إلى تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية، وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي العلمي، وكذا العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها، [1] يتألف الإتحاد من عدّة مجامع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1 - **مجمع اللغة العربية بدمشق:** تكون عقب الحرب العالمية الأولى بسوريا، من مهامه:

- النظر في أوضاع اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الغربية.
- جمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات وأوان ونقود وكتابات وما شاكل ذلك، وخاصة ما كان منها عربيا.
- جمع المخطوطات القديمة والمطبوعات العربية والغربية وتأسيس مكتبة عامة لها.
- إصدار مجلة باسم المجمع تنشر أعماله وأفكاره وتربط بينه وبين المجامع والجامعات والمؤسسات العلمية المختلفة.[2]

2 -**مجمع اللغة العربية بالقاهرة**: صدر مرسوم إنشائه يوم 13 ديسمبر 1932م، وسمي آنذاك "**مجمع اللغة العربية الملكي**" من أغراضه:

- المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها وملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر.
- القيام بوضع معجم تاريخي للغة العربية، ونشر أبحاث دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها.
- تنظيم دراسات علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.
- بحث كل ماله شأن في تقدم اللغة العربية.[3]

(1) محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية- وثائق ونماذج ، ص165.

(2) شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما (1934-1984)، (مرجع سابق)، ص 10،9.

(2) خالد بن سعودي العصيمي: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة جمعا ودراسة وتقويما، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص 26-29.

3- المجمع العلمي العراقي ببغداد: كانت نواته الأولى لجنة للتأليف والترجمة والنشر أنشأتها وزارة المعارف العراقية سنة 1945م، من مهامه:

- العناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب الفنون والعلوم وشؤون الحياة المعاصرة.
- البحث والتأليف في آداب اللغة العربية وفي تاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضاراتهم.
- البحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف فيها وبث الروح العلمية في البلاد.
- حفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة وإحياؤها بالطبع والنشر على أحدث الطرق العلمية.

4- **مجمع اللغة العربية الأردني:** في سنة 1961م تألفت لجنة أطلق عليها اسم "**لجنة التعريف والترجمة والنشر، كان لها جهد مشكور في النهضة اللغوية والعلمية**"، من مهام هذا المجمع:

- النهوض باللغة العربية وجعلها مواكبة للعصر الحديث.
- إحياء نفائس التراث العربي من كتب ومخطوطات.
- الاهتمام بالترجمة والتأليف والتشجيع عليهما برصد الجوائز وإجراء المسابقات.[1]

وقد اقتصر حديثا عن هذه المعاجم الأربعة باعتبار أنها ظهرت في مرحلة مبكرة تزامنا مع ظهور فكرة المعجم التاريخي للغة العربية، كما أنها شكلت النواة الأولى لإتحاد المجامع اللغوية، فقد صرف هذا الأخير عنايته بالمعجم التاريخي بداية من سنة 2001م، وذلك بطلب من مجامع سورية والعراق والأردن، فكوّن في اجتماعه المنعقد بالقاهرة من 6 إلى 7 نوفمبر "**لجنة المعجم التاريخي** "،[2] وفي أفريل 2004م اتخذ الإتحاد قرارا بإنشاء مؤسسة تابعة له وهي (**مؤسسة المعجم التاريخي للغة العربية**)، وقد شكّل لجنة من أعضائه وبعض العلماء من خارج الإتحاد لتقديم دراسات حول هذا الموضوع، [3] وحقيقة أنّ هناك مجمع واحد يشهد له الكثيرين بأنه كان السباق إلى قضية المعجم التاريخي، ألا وهو معجم اللغة العربية المصري، وذلك من خلال الجهود التي بذلها لإخراج معجم "**أوجست فيشر** " التاريخي وإن تعذر عليه الأمر، ومن ثمّ إصداره لثلاثة معاجم لغوية هي "**المعجم الكبير** " و "**المعجم الوسيط** " و "**المعجم الوجيز** "، ولنا عرض للمعجم الكبير فيما يلي لاحتمال تأثره بالمعجم التاريخي "**لفيشر**".

(1) ينظر- شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما (1934-1984)، ص 12-16.

(2) إحسان النص: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 14،15.

(3) محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية – وثائق ونماذج، (مرجع سابق)، ص 166.

أ -**المعجم الكبير** : لما رأى "**مجمع اللغة العربية المصري** " أنّ أصول "**معجم فيشر** " قد تعذر تنظيمها، أكبّ على إخراج معجمه "**الكبير**" بداية من عام 1946م، فحشد لذلك جهودا كثيرة؛ جهود لجنته الخاصة وجهود الخبراء والمحررين الكثيرين، وقد نحت اللجنة عنه فكرة أن يكون معجما تاريخيا، لأنّ ذلك يقتضي استقصاء النصوص الشعرية والنثرية في مختلف دواوين الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي إلى العصر الحديث، وبالمثل في مختلف الكتب والآثار الأدبية على مرّ العصور وفي الأقاليم العربية المختلفة، وهو عمل لا تستطيع أن تنهض به عصبة من العلماء والباحثين وحدها، [1] لأنه يتطلب جهد عشرات السنين، لذلك لابدّ من تظافر الجهود من مختلف الجمعيات والمؤسسات العلمية والمجامع اللغوية.

وقد حرص المجمع على إخراج معجم «شامل يستوعب اللغة في مختلف عصورها، ويستشهد بالشعر والنثر، ويثبت الألفاظ الطارئة التي دعت إليها ضرورات التطور، وفرضها تقدم الحضارة ورقي العلوم»[2] حتى تكون ملائمة لتطورات العصر الحديث، وكان ذلك عام 1956م، حيث أخرج الجزء الأوّل من المعجم "**الكبير**"، يضم نحو خمسة مائة صفحة من الحجم الكبير،[3] وقد ألحقت به ثلاثة فهارس: **فهرسا للشعراء وفهرسا للقوافي وفهرسا لأنصاف الأبيات أو الشطور**، وهو معجم ضخم يجمع بين طيّاته كل الكلمات العربية الواردة في أمهات المعاجم، ولم يقف بها عند عصر الاستشهاد بل يضيف إليها العصور التالية له، حتى لا تصبح العربية كاللغات القديمة التي أدركها الموت – إن صحّ التعبير- والتي تدرس كما تدرس الآثار، بينما هي في الواقع لغة حية خالدة تنبض بالحياة،[4]يتضح لنا ممّا تقدّم أنّ الهدف الذي وضع من أجله "**المعجم الكبير**"، يتمثل في إحياء اللغة العربية في جميع العصور دون استثناء، حتى لا يصيبها النسيان ومن ثمّ الموت.

ب -**منهج العمل في المعجم الكبير** : امتاز هذا المعجم بالوضوح في مقدمته التي كشفت عن منهجه والذي جاء على النحو التالي:

- اعتماده الترتيب الألف بائي مع تقسيمه إلى أبواب وفصول.
- وضعه المادة – موضوع الشرح- بين قوسين في أوّل السطر، متبوعة بالمعاني الأساسية التي تتبعها فيما بعد بالتفصيل.[5]

(1) شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما (1934-1984)، (مرجع سابق)، ص 155.

(2) إسمهان مصرع: المدارس المعجمية بين العناية والكفاية، مجلة الصوتيات، جامعة سعد دحلب، ع2، 2006، ص 168.

(3) عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية العربية- دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء، عمان- الأردن، ط1، 2009، ص 366.

(4) ينظر- شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما (1934-1984)، (مرجع سابق)، ص 156.

(5) أحمد عبد السميع: المعاجم العربية، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، مصر، د.ط، د.ت، ص 175.

- يبدأ في كل مادة بذكر أصلها أو أصولها في اللغات السامية، إن كانت تمدّ لها بصلة.
- ترتيب المادّة حسب المعاني الكبرى لها مع التدرج من المدلولات المادية إلى المدلولات المعنوية.
- يستشهد على ألفاظ المعجم بنصوص من الشعر والنثر على اختلاف العصور، وترتب الشواهد ترتيبا تاريخيا.
- يذكر ما يلزم ذكره من الأعلام، ويفسر تفسيرا موجزا، أو في شيء من التبسيط حسب ما تقتضيه الحال.
- ترد الكلمات المأخوذة من لغات أجنبية، قديمة أو حديثة إلى أصولها الأجنبية.
- تذكر أسماء البلاد والأماكن في شيء من الاقتصاد، حتى لا يصبح المعجم معجما جغرافيا.
- يذكر من المجاز ما شاع في الشعر والنثر، فليس من سبيل إلى فهم كثير من النصوص القديمة إلاّ بهذا.
- لا يعتمد على الحديث إلاّ ما ورد في أصل صحيح، ويذكر الحديث كله إلاّ إن اشتدّ طوله، فيقتصر منه على ما يجزي ويغني.[1]
- ترتيب المداخل الفرعية على النحو الآتي:
- **الأفعال:** تقدّم الأفعال على الأسماء، ويقدّم الثلاثي منها على الرباعي، والمجرّد على المزيد، واللازم على المتعدي.
- **المشتقات:** لا يذكر المشتق القياسي بعد الفعل إلاّ إذا تضمن معنى زائدا في الفعل: مثل: "**مُسَجَّل**" بمعنى الآلة التي تسجل الأصوات.
- **الأسماء** : يذكر المشتق منها والجامد بعد الأفعال، مع تقديم الألف اللينة (ألف المد) على الهمزة، كما يعالج موضوع الملحق الرباعي، والكلمات التي وقع فيها إبدال أو قلب في بعض حروفها.
- **المعرّبات** : ما تصرّف فيه العرب بالاشتقاق يذكر في مادته الثلاثية، مثل: "**لِجام**" في (ل ج م)، وما لم يتصرف فيه العرب بالإشتقاق، مثل: "**إستبرق**" يذكر في ترتيبه الحرفي ويشار إلى أصله غير العربي.[2]

أمّا المادّة اللغوية للمعجم "**الكبير**" فهي مستمدّة غالبا من المعاجم القديمة المطبوعة والمخطوطة ومن كتب الأدب والعلم والتاريخ، ومن مصادر أخرى كالقرآن والحديث، حيث لا يشار إلى كتاب أو معجم إلاّ إذا انفرد

(1) محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية- وثائق ونماذج، (مرجع سابق)، ص 68،67.
(2) المرجع نفسه، ص 179.

برأي خاص، وقد سلك المعجم في ترتيب الشواهد مسلك القدماء، ورتّبت عند تعددها على التوالي: القرآن الكريم- الحديث – النص الأدبي المنشور ومنه الأمثال – الشعر.[1]

انطلاقا ممّا تقدّم يمكننا القول بأنّ المعجم "**الكبير**" بتطبيقه لهذا المنهج قد ساير فن التأليف المعجمي الحديث، وذلك لإستعابه كلمات اللغة العربية وتأصيلها وضبطها وذكر شواهدها، ولا شكّ في أنه سوف يكون مرجعا جيّدا يستعان به في وضع المعجم اللغوي التاريخي لما احتواه من مادّة لغوية دسمة.

ج- مزايا المعجم الكبير: تتلخص مميزات هذا المعجم في جوانب ثلاثة هم:

- **جانب منهجي**: هدفه الأوّل دقّة الترتيب، ووضوح التبويب.
- **جانب لغوي** : عُني بأنّ تصوّر اللغة تصويرا كاملا، فيجد فيها طلاب الجديد حاجتهم، ويقف عشاق القديم على منالتهم.
- **جانب موسوعي** : يقدّم ألوانا من العلوم والمعارف تحت أسماء المصطلحات والأعلام، وقد روعي في هذا الجانب الجمع بين القديم والحديث ما أمكن ذلك.[2]

د- العلاقة بين معجم فيشر والمعجم الكبير : لقد أثار هذه القضية الباحث "**عبد العزيز الحميد** " محاولا الكشف عن العلاقة بينهما، وإن كان هناك احتمال تأثر "**المعجم الكبير**" بمعجم "**فيشر**"، وذلك من خلال الموازنة بينهما في ما يتفقان فيه من مواد، حيث يرى الباحث أنّ هناك صلة وتقارب بين هذين المعجمين في ذكر المعاني، ويرّجع ذلك إلاّ أنّ واضعي "**المعجم التاريخي**" قد استعانوا بجذاذات "**فيشر**" التي أهداها إلى مجمع الغة العربية مع نموذج من معاني مادّة "**أخذ**".[3]

وخلاصة قولنا أنّ اهتمام العرب الفعلي بإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية قد بدأ يتحقق، وهنا تجب الدعوة إلى إتحاد الجهود مادية كانت أو معنوية، بين الأفراد كباحثين والمؤسسات العلمية والمجامع اللغوية كمشرفين من مختلف البلاد العربية وحتى الغربية إن تطلب الأمر، والعمل كخلية واحدة لسدّ هذا النقص الذي تعاني منه لغتنا الأم، ومن ثمة تتويجها بمعجم تاريخي يحفظ ثقافتها اللغوية.

(1) ينظر- شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما (1934-1984)، (مرجع سابق)، ص 159.

(2) عبد اللطيف الصوفي: اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، (مرجع سابق)، ص 33.

(3) ينظر- بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، (مرجع سابق)، ص 98،97.

خاتمة:

ومن خلال بحثنا في موضوع الإستشراق وما كان له من دراسات في اللغة العربية والعمل المعجمي الحديث توصلنا إلى تسطير مجموعة من النتائج نلخصها في النقاط التالية:

– الإستشراق ظاهرة فكرية لها أبعاد سياسية وعلمية تمثّلت في دراسة الشرق الإسلامي من حضارة وأديان ولغات وثقافات.

– العلاقة الوثيقة بين الإستشراق واللغة العربية باعتبارها السبيل الوحيد لدراسة التراث الشرقي الإسلامي.

– قدّم الإستشراق بدراسته المعجمية جديدا للغة العربية من خلال نقده للمعاجم العربية القديمة والكشف عن القصور الذي إحتوت عليه وبالتالي سعى المستشرقون إلى معالجته والإضافة عليه.

– تسطير إنجازات كثيرة ومتنوعة كانت نتيجة لاهتمام المستشرقين وصارت مراجع أصلية للغة العربية حيث أسهموا في تنوع مجالات التأليف لديهم بين القواعد العربية والمعاجم وتاريخ الأدب العربي واللهجات القديمة والترجمة إلى اللغات الأوروبية.

– مناهج المستشرقين في دراسة اللغة العربية لم تختلف عن مناهج اللغويين العرب.

– فكرة المعجم العربي التاريخي لم تتجسّد إلاّ مع المستشرق الألماني "أوجست فيشر" وإن لم يكتمل في صورته النهائية، إذ اقتصر على مقدمة ومتن فقط.

– تناقض "أوجست فيشر" بين دعوته النظرية بعدم تحديد زمن المادة اللغوية، وتحديدها عند التطبيق.

– تخطى "أوجست فيشر" عصر الاحتجاج الذي نصبته المعاجم القديمة، وخرج عن إطاره إلى أبعد الحدود، حيث تضمن إلى جانب المواد العربية، المواد الأعجمية والمولّدة والمحدّثة والمعجمية التي أقرّها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وغيرها من المفردات المستحدثة.

– الجديد الذي أضافه "أوجست فيشر" في ميدان الدراسات المعجمية العربية الحديثة من خلال معجمه التاريخي، يكمن في أنه أوّل محاولة ثرية لصنع هذا المعجم والذي مثل نهضة حقيقية في تاريخ اللغة العربية ذ عامّة والمعاجم خاصّة.

– عناية الباحثين العرب والمؤسسات العلمية والمجامع اللغوية بقضية المعجم التاريخي والتي عملت جاهدة في سبيل إنجاز ما توقف عنده مشروع "أوجست فيشر"، وغير ما يعكس ذلك تبنى المجمع المصري لفكرة المعجم التاريخي من خلال العمل على إخراج "المعجم الكبير".

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتب:

1. إبراهيم الترزي: التراث المعجمي في 75 عاما، أعدّه وراجع تجاربه: سمير صادق شعلان، جمال عبد الحي أحمد، خالد محمد مصطفى، مجمع اللغة العربية، مصر، دط، 2007.
2. أحمد بن عبد الله الباتلي: المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1992.
3. أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1999.
4. أحمد عبد الرحيم السايح: الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية– القاهرة، ط1، 1996.
5. إسماعيل أحمد عمايرة: بحوث في الإستشراق واللغة، دار البشير، ط1، الأردن، 1996.
6. إسماعيل علي محمد: الإستشراق بين الحقيقة والتضليل، الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 2000.
7. إسماعيل عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، الأردن، ط3، 1992.
8. إسماعيل عمايرة: المستشرقون وتاريخ صلتهم باللغة العربية، دار حنين، الأردن، ط2، 1992.
9. بسام بركة وآخرون: نحو معجم تاريخي للغة العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2014.
10. الحبيب النصراوي: مؤلفات الجاحظ مصدر من مصادر المعجم التاريخي – دراسة في المستويات اللغوية، المعهد العلمي للغات، تونس، د.ط، 2007.
11. حسين نصّار: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، جامعة القاهرة، مكتبة مصر، ط2، 1968.
12. حكمت كشلي فواز: القاموس المحيط للفيروز أبادي – دراسة وتحليل ونقد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1996.
13. خالد إبراهيم المحجوبي: الإستشراق والإسلام– مطارحات نقدية للطروح الإستشراقية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، د.ط، 2008.

14. خالد بن سعود العصيمي: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة – جمعا ودراسة وتقويما، دار إبن حزم، بيروت – لبنان، ط1، 2003.
15. سعد آل حميد: أهداف الإستشراق ووسائله، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية.
16. شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما (1934-1984)، مصر، ط1، 1984.
17. صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في العربية، ج 1، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، ط1، 1978.
18. طارق سري: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النافذة، ط2، 2006.
19. عبد الرحمان حسن حبكة الميداني: أجنحة الفكر الثلاثة وخوافيها- التبشير، الإستشراق، الاستعمار، دار العلم، دمشق، ط8، 2000.
20. عبد الغني أبو العزم: المعجم اللغوي التاريخي – منهجه ومصادره، مؤسسة الفني للنشر، الرباط، د.ط، 2006.
21. عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية العربية – دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء، عمان – الأردن، ط1، 2009.
22. عبد اللطيف الصوفي: اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1986.
23. عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام- عرض ونقد، مكتبة العبيكان، ط1، 2001.
24. عبده الراجحي وآخرون: مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، د.ت.
25. عدنان محمد عبد العزيز: صورة الإسلام في الأدب الإنجليزي، ج 1، دار شيليا للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1998.
26. علي النملة: الإستشراق والدراسات الإسلامية- مصادر الإستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ج 3، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية، ط1، 1998.
27. فاروق عمر فوزي: الإستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998.
28. فاطمة هدى نجى: نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، دار الإيمان، لبنان، ط1، 1993.
29. مجدي محمد فتح الباب: موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، دار الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2001.

30. محمد أشرف علي الميليباري: أهداف الترجمات الإستشراقية لها في القرآن الكريم ودوافعها.
31. محمد حسن عبد العزيز: المعجم التاريخي للغة العربية – وثائق ونماذج، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الإسكندرية، ط1، 2008.
32. محمد رشاد الحمزاوي: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1988.
33. محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي – قديما وحديثا، الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط1، 1986.
34. محمد عابد الجابري: الشبه الإستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2009.
35. محمد عبد السميع: المعاجم العربية – دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، مصر، د.ط، د.ت.
36. محمد عبد الله الشرقاوي: الإستشراق دراسة تحليلية تقويمية- كلية دار العلوم، القاهرة، د.ط، 1992.
37. محمد فاروق النبهان: الإستشراق- تعريفه- مدارسه- آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية، العلوم والثقافة للسيسكوا، المغرب، د.ط، 2012.
38. محمد لين إبراهيم الحمد: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، دار إبن خزيمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2006.
39. مرتاض عبد الجليل: في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط 2، 2007.
40. مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الورّاق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.
41. يحيى مراد: من قضايا الإستشراق- بحوث ودراسات.

المجلات

1. مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج3،2011.
2. مجلة الصوتيات، جامعة سعد دحلب، العدد2، 2006.
3. مجلة اللغة العربية، العدد الثاني والعشرون، جامعة تلمسان، 2009.
4. مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج15، 2001.

5. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 78، ج3.
6. مجلة مجمع اللغة العربية– دمشق، م78، ج4.
7. مجلة مجمع اللغة العربية، ج8، مطبعة وزارة التربية والتعليم، د.ط، 1955.
8. مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج82، ج1، د.ت.
9. مجلة نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان، العدد2، 2010.

المذكرات:

1. عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني: **البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان – العربية أنموذجا**، إشراف: محمد عبد الزهرة غافل الشريفي، جامعة الكوفة، 2010، د.ط.

الفهرس

مقدمة..... أ–ج

الفصل الأوّل: الإستشراق والدراسات اللغوية العربية

المبحث الأول: مدخل إلى الإستشراق .....**5 –26**

تمهيد **5**

أولا: تعريف الإستشراق **5**

1. لغة.....**5–6**

2. إصطلاحا **6–7**

ثانيا: نشأة الدراسات الإستشراقية **7–10**

ثالثا: دوافع وأهداف الإستشراق **10**

1. دوافعه.....**10**

أ. الدوافع الدينية **10**

ب. الدوافع السياسية والإستعمارية **11**

ج. الدوافع الإقتصادية الدوافع العلمية والثقافية **12–13**

د. الدوافع العلمية والثقافية **13–14**

2. أهدافه.....**14**

أ. أهدافه الهدف الديني **15**

ب. الهدف السياسي الإستعماري **16–17**

ج. الهدف الإقتصادي.....**17**

د. الهدف العلمي الثقافي **17–18**

رابعا: مدارس الإستشراق **18**

1. المدرسة الفرنسية 18–19
2. المدرسة الإنجليزية 19–20
3. المدرسة الألمانية 20
خامسا: وسائل المستشرقين 21–26
المبحث الثاني: علاقة الإستشراق باللغة العربية 26–46
أولا: دراسة اللغة العربية 26
1. عند العرب 26–27
2. عند الموالي 27–28
3. عند المستشرقين.....28–31
ثانيا: مناهج المستشرقين في دراسة اللغة العربية.....31
1. المنهج التاريخي 32–36
2. المنهج المقارن.....36–39
3. المنهج الوصفي.....39–40
4. المنهج الإحصائي.....41–42
ثالثا: آثار المستشرقين في دراسة اللغة العربية.....42
1. الآثار الإيجابية.....42–43
2. الآثار السلبية..... 44–46
الفصل الثاني: أوجست فيشر والعمل المعجمي الحديث
المبحث الأول: المعجمية العربية الحديثة 48–58
أولا: فكرة المعجم العربي التاريخي.....49–53
1. مفهوم المعجم العربي التاريخي.....49–53
ثانيا: دوافع تأليف المعجم العربي التاريخي والهدف منه.....54
1. دوافع تأليف المعجم العربي التاريخي 54

أ. الدافع العلمي 54
ب. الدافع الحضاري 54
ج. الدافع القومي 55
2. الهدف من تأليف المعجم التاريخي.....55-57
ثالثا: مراحل إنجاز المعجم العربي التاريخي.....57-58
المبحث الثاني: إسهامات فيشر في الصناعة المعجمية الحديثة 58-69
أولا: نبذة عن "أوجست فيشر" ومعجمه التاريخي 59
1. "أوجست فيشر"؟ 59-60
2. المعجم التاريخي "لأوجست فيشر" 60-62
3. وصف معجم "أوجست فيشر" 62
ثانيا: أسس المعجم عند "أوجست فيشر" 63
1. الأسس العامة 63
أ. الأسس الخارجية 63-64
ب. الأسس الداخلية 64-66
2. الأسس الخاصة 66-68
ثالثا: آراء فيشر في صناعة المعجم التاريخي.....68-69
المبحث الثالث: المعجم التاريخي بعد فيشر.....69-77
أولا: المعجم التاريخي عند الأفراد 69
1. اسماعيل مظهر 69
2. علي توفيق الحمد 69
3. محمد رقاس 70
ثانيا: المعجم التاريخي عند المؤسسات.....71
جمعية المعجمية العربية التونسية 71-73

ثالثا: المعجم التاريخي عند المجامع.....73
1. مجمع اللغة العربية بدمشق.....73
1. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.....73
2. المجمع العلمي للعراق في بغداد.....74
3. مجمع اللغة العربية الأردني.....74
أ. المعجم الكبير.....75
ب. منهج العمل في المجمع الكبير.....75-77
ج. مزايا المعجم الكبير.....77
د. العلاقة بين معجم "أوجست فيشر" والمعجم الكبير.....77
خاتمة.....79-80
قائمة المصادر و المراجع.....82-85
فهرس.....87-90